بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نسف التَّصريح
وبيان ما فيه من التَّشغيب والتَّلبيس الصَّريح
(ردٌّ على د. عبد المجيد جمعة)

الحمدُ لله ربِّ العالمين ناصِر عبادِه المتَّقين، وولي الصَّالحين، والصَّلاةُ والسَّلام على نبيِّه محمَّد وعلى آله وصحبه، ومَن تبعَه بإحسَان إلى يوم الدِّين؛ وبعد:

كنتُ أحسبُ أنَّ الدُّكتور جمعة ـ أصلحَه الله ـ سيقرَأ ما كتبتُه قراءةَ أخ لما كتَبه أخُوه متجرِّدًا عن روح الانتقام والتَّحامُل، ومُبتَغيا الوصُول إلى الرُّشد والحقِّ؛ إلَّا أنَّه كان على خلافِ ذلك تمامًا حيث إنَّه بمُجرَّد ما اطَّلع عليه وسُئل عنه في الواتساب، قَال: «**مليء بالكذب والتدليس وستسمع ردِّي عليه يتبيَّن لك كذبه**»، بل وجعل له عنوانًا قبلَ أن يكتُب ردَّه؛ فقَال لأحد السَّائلين في الواتساب: «**آسف لما آل إليه القوم من الكذب والتدليس، والتمويه والتلبيس، مقال توفيق عمروني حشاه بذلك، وستسمع مني الجواب في: «التصريح في التعقيب على بيان التوضيح»**»، كما أنَّه نهَى عن قراءة ما يكتبُه إخوانُه، فسألَه أحدُهم عن طريق الواتساب: هل نقرَأ للطَّرفين ومتى تبيَّن الحقُّ نتَّبعُه؟ فقال مجيبًا: «**ليس بصحيح؛ لأنَّ الشُّبه خطَّافة**».

وهذا كلُّه منَ العَجلة في ردِّ الحقِّ والمكابَرة وعدَم الاعتراف بالخطَأ، وهُو ما أوقعَه في طامَّات ودواهٍ، لهذا بمُجرَّد ما بدَأ ردَّه وقَع في زلَّة تُثير التَّعجُّب والاستغرَاب، حيثُ قال: «**واستغربت جرأته في نفي هذه الجلسة رغم علم جميع الأعضاء دون استثناء أحد ـ كما سيأتي بيانه ـ إلا من كابر؛ لكنّه دلّس ولبّس في بيانه**».

فأنا ما كتبتُ الَّذي كتبتُه إلَّا لبيَان ملابسَات الجلسَة، فكيفَ أكونُ نافيًا لها، وإنَّما نفيتُ أن توصفَ بأنَّها جلسَة سرِّيَّة؛ فأينَ التَّدليس والتَّلبيس في بياني؟!

وهذا من آثار الاندفَاع الزَّائد الَّذي يُميِّز الدُّكتور جمعَة ـ أصلحه الله ـ في ردِّه على كلِّ مَن يُخالفه، إذ لا يتَوانى في رميِه بالكذِب كما هُو الحالُ معي، حتَّى إنَّه وردَ لفظُ «الكذب» في مقاله أكثر

من أربعين مرَّةً، ونسبَني إليه مرَّات عديدَة وتعجَّبَ من جُرأتي على الكَذب ـ بزعمِه ـ !!؛ بل وكانَ يحلفُ بأغلَظ الأيمان غير حانِث أنَّ كلامي كذبٌ محضٌ، وهي جُرأةٌ غير محمُودة، إذ لو تأنَّى وتحرَّز قليلا لكانَ أسلم لهُ وأحوَط لدينه؛ لكن لا يُستَغربُ مِنه ذلكَ إذا وجدتَه يُكذِّبُني حتَّى فيما أحلفُ عليه بأغلَظ الأيمانِ، وعليه؛ فإنِّي أكادُ أجزمُ أنَّنا في قَلب السِّنين الخَوادع، الَّتي أخبَر بها النَّبيُّ ﷺ في قوله: «**سيَأْتي علَى النَّاسِ سنَوَاتٌ خَدَّاعَات، يُصَدَّقُ فيهَا الكاذِبُ، ويُكَذَّبُ فيهَا الصَّادِقُ، ويُؤْتَمَنُ فيهَا الخائِنُ، ويُخَوَّنُ فيهَا الأَمِينُ؛ وينطقُ فيهَا الرُّوَيْبضَة**؛ قيلَ: وما الرُّوَيْبضَة؟ قَال: **الرَّجُل التَّافه يتكلَّمُ في أمر العَامَّة**»[1].

ثمَّ بعدَما ذكر أنَّه ما كانَ ليردَّ عليَّ لولا أن طلبَ منه مَن لا يسَعُه ردّ طلبِه منَ المشايخ، والإخوة الكرام؛ قال: «**وسأقتصر في ذلك على ما هو أهمّ؛ أمّا ما لا طائل من ورائه فسأُعرِض عنه حرصًا على الاختصار**».

وهذا يعني أنَّ ما لم يردَّ عليَّ فيه لا طائل من ورائه، ومَن يتتبَّعه يجد أنَّه أغفَل قضايا مهمَّة ومسائل أساس لم يُجب عنها، وعدَّها منَ المسائل الَّتي لا طائل مِن ورائها[2].

ثمَّ قسَّم ردَّه إلى ثلاثة مطالب:

فقال: «**المطلب الأول:**

في بيان جلسة عبد المالك سرًّا مع الأخ توفيق ومن حضر معه».

وفي هذا المطلب راح يؤكِّد إصرارَه على أنَّ الجلسَة كانت سرِّيَّةً وأنَّه لم يكُن يعلمُ بها بقيَّة المشايخ الَّذين لم يحضُروها، وهذا ما كنتُ أوضحتُ أمرَه في المقال السَّابق، وبيَّنتُ تسلسُل ملابسات الجلسة تاريخيًّا فلا داعي إلى إعادته هنا.

وممَّا قال: «**فقولك: «فعلى المرء أن يتكلَّم بعلم وعدل» أقول: ولا تنسَ أيضا أنّ على المرء أن يتكلّم بالصّدق المنافي للكذب**»

وأقول: لكن من المعلوم قطعًا أنَّ مَن تكلَّم بعلم وعدل كانَ صادقًا، فالكلامُ بالعِلم والعَدل يدلُّ على الصِّدق دلالة تضَمُّن ولزوم ومطابقَة ـ يا دكتُور ـ؛ فذِكْرُه تحصيلُ حاصِل؛ لذلكَ تجد أهلَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٦)، والحاكم (٤/ ٥١٢)، وأحمد (٧٩١٢)، وهو في «الصَّحيحة» (١٨٨٧).

(٢) مثل مسألة اتصالي بالشيخ عبد الغني وإخباره بموعد الجلسة، ومثل الطعون المزعومة في بيان الشيخ عز الدين ...

العِلم يقتَصرون على ما اقتَصرتُ عليه، قال ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الكلامُ في النَّاسِ يجِبُ أنْ يكونَ بعلمٍ وعدلٍ، لا بجهلٍ وظلمٍ، كحالِ أهلِ البدَعِ**»[1].

ثمَّ أراد أن يجيبَ بأجوبة فيها تعميةٌ وتمطيطٌ، منها قوله في الوجه الأوَّل:

«وانظر إلى تلبيسك ومغالطتك، إذ تقول: «فهبْ أنّهم جلسوا دون أن تعلم بها أنت، أو الشيخ أزهر، فكان ما ذا؟»، فتُوهم الناس أنّي والشيخ أزهر فقط اللَّذَيْن لم يُعلمَا. فقليلًا من الصّدق، وكفاك من المراوغة والمغالطة! فإنّ كلّ شيء عند الله مسجّل. وإنّ الله تعالى ليعامل عباده بحسب مقاصدهم».

إنَّ قولي: ««**فهبْ أنّهم جلسوا دون أن تعلم بها أنت، أو الشيخ (أزهر)، فكان ماذا؟**» ليس إيهامًا ولا مراوغةً ولا مغالطةً، وإنَّما هو افتراضٌ واحتمالٌ كما يقَع في المناظَرات والمناقَشات، لهذا بدأتُ كلامي بقولي: «هبْ»، فكانَ عليكَ أن تجيبَ عن هذَا الافتراض، لا أن تُلبِّس على القارئ وتُريد أن تُفهمَه شيئًا لم أقصِدْه، ولم يخطُر ببالي؛ لكن كما قلتَ: «فإنَّ كلَّ شيء عند الله مسجَّل. وإنَّ الله تعالى ليعامل عباده بحسب مقاصدهم».

ثمَّ قال: «الوجه الثاني: أنّنا نحن أعضاء المجمّع الذين لم يُعْلموا بتلك الجلسة، استنكرنا عليكم ـ يوم اجتماعنا ـ صنيعكم هذا؛ أعني لقاءكم بعبدالمالك سرًّا؛ فَلِمَ لمْ تنكروه يومئذ، بل أقررتموه، وقدّمتم بعض الأعذار؛ وهي أولى أن يعذر لها؟!».

إنَّ ما تُسمِّيه بعضَ الأعذَار هو في الحقيقَة أجوبة عن هذَا الَّذي تدَّعيه، وأعيد عليك أنَّ الشَّيخ عبد الغني عوسَات وهو يومئذٍ يترأَّسُ اجتماعات المشايخ كانَ على علم باللِّقاء، فعن أيِّ سريَّة تتحدَّث يا دكتُور!؟ وإنِّي أُراكَ لم تذكُر أصلًا خبرَ اتِّصالي بالشَّيخ عبد الغني وإعلامِه باللِّقاء، ولم تُعرِّج عليه، ما يعني أنَّك جعلتَه من القسم الَّذي لا طائلَ تحتَه، ولا يُمكنُ فهمُ ذلكَ إلَّا على أنَّه تلبيسٌ على القرَّاء، وصرفٌ للأنظار عن الحقيقَة؛ وقَد حاولَ (أزهَر) ـ هدَاه الله ـ في صوتيَّته أن يُلبِّس أيضًا على النَّاس حين قال عنِّي أنَّني اتَّصلتُ بالشَّيخ عبد الغَني بعد الجلسَة، وهذا من جُرأته المعهُودة، وهُو تكلُّفٌ باردٌ، إذ مَن فوَّضَه أن يتكلَّم على لسَان الشَّيخ عبد الغَني وهُو حيٌّ يُرزَق!!

ثمَّ قال: «الوجه الثالث: أنّ قولك «لم يكن هذا اللقاء سرًّا أبدا، بل كان معلومًا لدى الجميع

---

(١) «منهاج السنة» (٤/ ٣٣٧).

أنّنا وددنا اللقاء بعبد المالك رمضاني في رمضان سنة ١٤٣٢هـ في المدينة أو في مكّة ...» من التلبيس، والمغالطة، والتدليس ما لا يخفى؛ إذ جمعت بين قضيتين مختلفتين زمانًا، وعقدت بينهما، وجعلتهما قضية واحدة، لتتخلّص من التّهمة؛ ...».

إلى أن قال: «فأدخلت هذا في هذا، وعقدت بينهما، وخرجت بتلك القصّة المفتَعلة؛ وهذا من التلفيق يا أخ توفيق، فعليك بالصِّدق حتى لا توصف بالصّفيق، وتحرم التوفيق!».

لماذا تسمِّيه تلبيسًا وتدليسًا ومغالطةً؛ وأنِّي أريدُ أن أجعَل من قضيَّتين مختلفتَين قضيَّةً واحدةً؟

لو كنتَ تنظُر بعين الإنصاف ولم تكُن مُتَحاملا لظَهَر لكَ بأدنى تأمُّل أنَّها قضيَّةٌ واحدةٌ عنوانُها «**جلسةٌ لمناصحة عبد المالك**»، امتَدت ملابساتُها لسنَواتٍ ـ كما تَرى ـ، إذ تعذَّر اللِّقاءُ به على تلك الصُّورة إلَّا حينَ حلَّ ذلك التَّاريخ، فكانت فرصةً اهتبلْنَاها ولم نُضيِّعها؛ **وليسَ لنَا فيها مِن فائدةٍ سوى حرصِنا على هداية الرَّجل ومحاولةِ ردِّه إلى حظيرة إخوانه السَّلفيِّين**، ويأبى اللهُ أن لا يكونَ إلَّا ما يشَاء، ولا حولَ ولا قوَّة لنا إلَّا به؛ فأينَ افتعالُ قصَّة أو تلفيقُ حكاية ـ يا دكتُور ـ!؟

وأسألُ الله العليَّ العظيمَ أن يجعَل لي مِن اسمي نصيبًا، وأنْ لا يحرمَني التَّوفيق.

ثمَّ قال: «وكذا فيما زعمته في قولك: «بدليل أنّي لّما ذكرت ذلك للمشايخ بادرني الشيخ أزهر، بقوله: إنّه لن يجلس معكم...»؛ فهو أيضا من التلبيس والتلفيق؛ ويمكنك مراجعة الشيخ أزهر في الموضوع، فهو لا يزال على قيد الحياة، ومتّعه الله بالصحّة والعافية؛ بل نفاه في صوتية له».

أنا ذكرتُ لكَ تاريخ المجلس الَّذي أخبرتُ فيه المشايخ باتِّصال الواسطة لعَقد هذِه الجلسَة، ثمَّ قلتُ: بادرني الشَّيخ (أزهَر) بقوله: «ما يقعدش معاكم» أي «إنَّه لن يجلسَ معكُم» قال: لأنَّه سيُسَافر إلى المدينة، **والقريبُ الَّذي أخبَره بسَفره هُو زوجتُه الثَّانية الَّتي كانَت على علاقة بزوجَة عبد المالك**، فلعلَّه بذِكر هذه القَرينة يتذكَّر ما توهَّمه أنَّها قضيَّةٌ أخرى أو مجلسٌ آخر مع عبد المالك ـ كما قال في صوتيَّته ـ!!، **فالجلسَة واحدةٌ لم تتعدَّد ولم تتكرَّر**، وهذَا واضحٌ وضوحَ الشَّمس في رائعَة النَّهار، ولا يمكنُكَ التَّشكيكُ فيه البتَّة.

وأنا لم أكُن ساهيًا ولا ناسيًا في بياني، كما زعَم (أزهَر) ـ هداه الله ـ، بل عليه أن ينبشَ قليلًا في ذاكرتِه ليعثُر على ما أخبرتُ به، وسيجدُه صحيحًا سليمًا، **وليُظهر لنا صدقَه وشجاعتَه في الصَّدع بالحقِّ ولو على نفسِه، بدَلَ أن ينتظرَ منِّي تراجعًا واعتذارًا ـ كما قال في تعليقه على مقالك ـ.**

وأنا ـ بحَمد الله ـ لم أبلُغ بعدُ إلى سنٍّ قَد تختلطُ عليَّ فيه الأمور، وتتشابهُ فيه عليَّ الوقائع والحوادث، والدُّكتور جمعَة ـ هداه الله ـ يعلمُ يقينًا كما يعلمُ بقيَّة المشايخ أنَّه لم يكن يُفارقُني قلمي عند كلِّ مجلس، فكنتُ بمثَابة كاتِب الجلسَات؛ **أسجِّلُ في أوراقي ما يدُور في المجلس من قضايا ومسَائل، حتَّى إنِّي أسجِّل عندي مَن حضَر ومَن غاب طيلةَ إحدى عشرة سنةً كاملةً**؛ ومعلومٌ عند أهل العلم بالحديثِ أنَّ الضَّبطَ نوعان: ضبط صَدر، وضبط كتَاب، وعليه؛ **فأنا أضبَطُ منكُما ـ يا دكتور ـ لهذه الحادثة**؛ فدعَ عنكَ المماراةَ؛ واترُك التَّلبيسَ على القُرَّاء بقَولك عن (أزهَر): «**بل نفاه في صوتية له**» فما الَّذي نفاه!؟ وماذا عسَاه أن ينفي!؟ ومعنَا جمعٌ مبارَكٌ منَ المشايخ حاضرون؛ ومَن أراد التَّثبُّت والتَّأكُّد فهُم موجُودون ـ بحمد الله ـ، والله يقول: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾.

ثمَّ قال: «**الوجه الرابع: وأذكّرك ـ إن كنت صادقا ومنصفا ـ وأنا أستحضر ذلك المجلس وصورته ككتابة هذه الأسطر: أنّ الشيخ عزّ الدين نقل كلام عبد المالك السابق، وذكر المشايخ الثلاثة: الشيخ فركوس، والشيخ عبد الغني، والشيخ أزهر؛ ونَسِيَني أنا، ثم تذكّر وقال: والرابع ـ وأشار بيده إليَّ وهو يبتَسم ـ فضيلة الدكتور. فأجبته بقولي: لا يشرِّفني الجلوس معه. ثم قلتُ لكم: هل صار عبد المالك أفضل عندكم منّا نحن الأربعة؟! ألا كان الأجدر بكم أنّكم أنتم من تملون الشروط على عبد المالك، وليس هو من يملي الشروط عليكم...**».

في هذَا الكلام دليلٌ على أنَّ هذا المجلس الَّذي تستَحضرُه وتستَحضرُ صورتَه ككتابتكَ لهذه الأسطُر وقَع فيه الحديثُ عن تلكَ الجلسَة، وأنتَ تنفي وقوعَ الحديث عَن الجلسَة جملةً وتفصيلا؛ وهذا تناقضٌ ظاهرٌ واضطرابٌ، وتكذيبٌ لنفسِك ـ يا دكتُور ـ!!

أمَّا بخصوص اشتراطِه عدم حضُورك أنتَ ومَن ذكرتَ؛ فأُكرِّر عليكَ ما قلتُه مِن قبل: «**أمَّا أنا فلم أسمَع منه هذَا الشَّرط**»، وإلَّا كيفَ أعرِضُ على الشَّيخ عبد الغَني أن يحضُر معنَا اللِّقاء!

ثمَّ هل يُعقَل أن يشتَرط علينا هذَا الشَّرط بعدَما يأتي ويجلس معنَا!

ثمَّ إنِّي أُحبُّ أن أَضيفَ هذه المرَّة شيئًا آخَر، وأقولُ: هَبْ وافرِض[1] أنَّه اشتَرط ذلكَ علينَا واستَجبْنَا لشرطِه، **لنَصل إلى المقصُود وهو بذلُ النُّصح له**، هل نُلامُ كلَّ هذَا اللَّوم، ونستَحقُّ كلَّ هذا العتَاب! ولكَ في حادثة الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ مع علي بن حاج عبرةً ومثَلًا، عندما جلس إليه واشتَرط

(١) وأرجو أن تنتبهَ إلى أنَّه مجرَّد افتراض.

عليه ألَّا يُسجِّل المجلس، فاستَجابَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ لشَرطه، بعد الاتِّفاق على أن يُسجَّل الشَّريط لكن لا يُسمَحُ بنَشْره؛ فالشَّرطُ إذا لم يُعارِض شريعةً أو نصًّا فلا مانعَ منهُ.

ثمَّ قال: «الوجه الخامس: أنّ قولك: «وقد حضرها كلّ من الشيخ عزّ الدين رمضاني، والشيخ رضا بوشامة، والشيخ عثمان عيسي، وأنا» ليس دليلًا على عدم سرّية الجلسة، إذ إنّ هؤلاء المذكورين هم مَن أملى عبدالمالك أسماءهم عليكم بواسطة فريد عزّوق، ورضي بهم لأن يَجلس معهم، ورضيتم بذلك».

أمَّا هذه فهيَ مِن عندياتِك ـ أصلحَك الله ـ؛ لأنَّه كانَ من المتوقَّع أن يحضُرَ معَنا أيضًا من هيئة التَّحرير كلٌّ منَ الشَّيخَين **عُمر الحاج مسعود، ونجيب جلواح**، فتعذَّر حضُورُهما، مع علمِهما بالجلسَة؛ **فهل ـ يا تُرى ـ أسماؤهما كانَت في القائمَة أم لا؟**

ثمَّ قال: «الوجه السادس: فبعدما نفيتَ قطعًا وجزمًا عدم علم بقية الأعضاء بالجلسة، فنراك هنا تُثبت أنّكم رأيتم وارتأيتم أن تجلسوا دون البقية، يعني عدم إخبارهم، وإشعارهم؛ وتبرّر وتعلّل لذلك، فتقول: «لأنّه ليس من شرط النصيحة والمحاورة أن نجلس جميعا مع المنصوح». وهذه من قرائن الأحوال في معرفة الكذب؛ أن يقول أحد قولًا في موضع ثم يناقضه في موضع آخر».

يا دكتور! أنا أتكلَّمُ بلغةٍ عربيَّةٍ مفهُومة، **وحكيتُ الواقعَة بالتَّسلسل التَّاريخي كما في بياني الأوَّل**، وذكرتُ أنِّي لَمَّا أخبرتُ المشايخَ بخَبر اللِّقاء وبادَرني (أزهَر) بخَبر سَفر عبد المالك، فظننَّا أنَّ الخبر يقينٌ ما يعني أنَّ اللِّقاءَ غيرُ حاصِل، إلَّا أنَّه بعدَ أيَّام فاجَاءني الواسطةُ باتِّصاله لتأكيد اللِّقاء.

فأينَ التَّناقُض الَّذي تخيَّلتَه ولم يظهَر لغَيرك؟! **أم إنَّها صارت عادةً محكمةً عندكَ لا تُفارقُك حيث ترى ما لا يراه غيرُكَ، وتكتشفُ ما لا يكتشفُه سائرُ القُرَّاء، كما هُو الحال مع عشرين طعنة في بيان الشَّيخ عزِّ الدِّين، الَّتي لم يتفطَّن لها أحدٌ سواك!!**

ثمَّ تعودُ وتقُول: «يعني عدم إخبارهم، وإشعارهم» وأنا أقولُ لكَ بصَريح العبَارة: إنِّي أخبرتُ الشَّيخَ عبدَ الغني؛ فهل هذا منكَ إلَّا منَ التَّلبيس المكشُوف، والتَّكذيب المتعمَّد.

يظهَر ـ والله أعلمُ ـ أنَّه قَد غلبَ عليكَ التَّوتُّر وأنتَ تكتبُ هذا المنشورَ، وتحاولُ فيه إقناعَ غيركَ كما أقنعتَ به نفسَك مِن كونِ الجلسَة كانت سرًّا، ولو بمثلِ هذَا الكلام المتهافِت!!

ثمَّ قال: «الوجه السابع: أنّك تناقضت مع أقرب الناس إليك في المجمع، وهو رئيسه الشيخ

عزّ الدين، إذ قال في بيانه: «كلّ ما في الأمر أنّنا تأخّرنا عن الإدلاء بما جرى في تلك الجلسة لوجهة نظر ارتأيناها نابعة عن اجتهاد وقصد حسن». وأنت تقول: «وفي أوّل جلسة مع المشايخ أعقبت هذا اللقاء، وقد حضرها جميعهم والتي كانت بتاريخ: يوم السبت ٢٠/ ٦/ ١٤٣٦هـ الموافق لـ ٩/ ٥/ ٢٠١٥م، ذكر الشيخ عزّ الدين خلاصة عن ملابسات تلك الجلسة وما دار فيها»».

إنَّ قصدَ الشَّيخ عزِّ الدِّين مِن كلامِه إنَّما هُو الإدلاءُ بالشَّهادة مع (أزهَر) فيما صرَّح به ممَّا نطقَ به عبد المالك مِن وصفِ الشَّيخ ربيع بالكَذب، والشَّيخ عبيد بالمافيا، وهذَا واضحٌ وظاهرٌ لا يحتَاج إلى إعمالِ كبيرِ فكرٍ ليظهَر لكَ أيُّها الدُّكتور، فضلا عَن العُقلاء أهل الحذق والفطنَة.

فدَع عنكَ التَّعنُّتَ والتَّلبيسَ والتَّدليسَ وليَّ أعناق الكَلام ومحاولَة استغفَالِ النَّاس، **فمَن قرأَ البيانَيْن قراءةً بعيدةً عن الخلفيَّاتِ سيفهَمُ ـ لا محالةَ ـ أنَّه لا تعارُضَ بين كلامي وكلام الشَّيخ عز الدِّين**؛ لكنَّ الظُّنونَ السَّيِّئة والخلفياتِ المسبَقَة هي الَّتي تحملُكَ على فهم هذا التَّضادِّ والتَّضارُب في الخطابيْن، والله المستَعان.

إلى أن قالَ: «الوجه الثامن: «لا أدري ما سبب إصرار الشيخ عبد المجيد على وصف المجلس بالخفي، مع أنّه لو أريد للمجلس أن يكون خفيا لعقد في مكان آخر غير دار الفضيلة».

والجواب عنه من ثلاثة أوجه:

أولها: قولك: «لا أدري ما سبب إصرار الشيخ عبد المجيد على وصف المجلس بالخفي...»

وأقول: لا أدري، ما سبب إصرار الأخ توفيق على الكذب، والمغالطة، وإخفاء الحقيقة؟!».

فانظُر إلى هذَا الوجه الَّذي ليسَ بوجه أصلًا، إذ لا معنَى له سوى إعادةِ الكلام وتكرارِه، وتكثُّرٍ في القَول لا طائل تحتَه، واتِّهامي بالكذب ظُلمًا وجورًا؛ لكن عزَائي فيه كَما قال عُثمان بن سعيد الدَّارمي رَحِمَهُ اللَّهُ في «ردِّه على بشر المريسي» (٢/ ٨٩٥): «**وكذا الباطِلُ ما ازْدادَ المرءُ له احتجَاجًا إلَّا ازدادَ اعوجاجًا، ولما خفِيَ مِن ضمَائِرِه إخرَاجًا**».

ثمَّ قال: «الوجه الثاني: إنّك إذا كنت لا تدري، أو لا تَتَدَاري؛ فنحن ندري! فإنّكم لم تكونوا صادقين مع إخوانكم، الذين أعطوكم ثقتهم، وصفاء قلوبهم، وبسطوا إليكم أيديهم؛ فكنتم تتصرَّفون في دار الفضيلة بأشياء دون علمهم، أو مشاورتهم، أو الرجوع إليهم؛ (بمن) فيهم شيخنا جميعًا الشيخ فركوس الذي يعتبر أعلمنا، وأعقلنا، وأحكمنا، وأظرفنا، وأكبرنا!».

وهذا أيضًا من التَّقعُّر في الكلام الَّذي يحيدُ به عن المقصُود، وهو ما جعَله يختَلقُ فعلًا في لغَة العَرب لم يُسبَقْ إليه؛ فقَال: «**إذا كنت تدري أو لا تَتَدَاري**» ومَن يبحثُ في معاجم اللُّغة العربيَّة جمعَاء لن يجد فعل «**تتداري**»؛ فهو من عندياتِ الدُّكتور ـ أصلحَه الله ـ؛ لأنَّ أصلَ الكلمَة درى: يَدْري دِرْيةً ودَرْيًا ودِرْيانًا ودِرايةً، وأمَّا التَّداري مأخوذٌ منَ التَّدارُؤ، فتُرِكَ الهَمز ونُقِلَ الحرفُ إلَى التَّشْبيهِ بالتَّقاضِي والتَّداعِي، كما في «لسان العرب»، **والدكتور ظنَّ أنَّ معناه هنا تعمُّد عدم الدِّراية !!**

ثمَّ انظر كيف يرمي إخوانَه بأنَّهم لم يكونوا صادقين؛ ويشكِّك في قصُودهم ونياتِهم، ويصوِّرُهم على أنَّهم مستبدُّون بالرَّأي لا يشاورُون إخوانَهم منَ المشايخ، **يقُول هذَا وهُو الَّذي يُسجَّل عنه الغياب عن مجالس المشايخ الدَّوريَّة بكثرَةٍ طيلةَ هذه السَّنوات؛ ولله في خلقِه شُؤون!!**

وأقُول: يا دكتُور ـ هدَاك الله ـ لولا فضلُ الله علينَا ومنَّتُه، ثمَّ لولا المشاورةُ ومُراجعَةُ المشايخ بما فيهم الشَّيخ فركوس، واجتماعاتهم الرَّتيبة ولقاءاتهم المتكرِّرة أكانَ يدومُ اجتماعُنا أكثَر مِن عشرِ سِنين؛ ويُثمر التَّآلُف الَّذي كان حاصلا، والإنجازات الَّتي تحقَّقت، والمؤلَّفات والكتب والرَّسائل والمطويَّات الَّتي نُشرت، وأعداد المجلَّة المتتابعة الَّتي صَدرت، والدَّورات العلميَّة الَّتي أُقيمَت، والبيانات الحاملة للنُّصح الصَّادق الَّتي أُذيعَت، والمواقف المَوَحَّدة للمشايخ مِن قضَايا السَّاحة الدعويَّة الَّتي عُلمَت وانتشَرت، إلى منافع وخيراتٍ أخرى عمَّت أطراف البلاد، وانتفع بها العبادُ، وعرفت الدَّعوةُ السَّلفيَّةُ انتشارًا واسعًا، وعلا صوتُها فوقَ أصوات كثيرٍ مِن مخالِفِيها، **وعُصمت بلادُنا الجزائر مِن فتنة ثورَات الرَّبيع العَربي، وانخنَست طوائف البدعة والضَّلالة؛ كلُّ ذلكَ بفَضلِ الله العَزيزِ الحميد**، الَّذي يسَّر هذا الاجتماع لهذه الثُّلة النَّبيلة من أهل العلم والدَّعوة، في تشاوُر وتلاحُم، وتناسُق وتجاوب؛ والله وحدَه يعلمُ ما بُذل في سَبيل المحافظَة على هذَا الاجتماع، **فهذه بعضُ ثمار تصرُّفنا في دار الفَضيلة، لمن ينظُر بعَين العَدل والإنصَاف**.

ثمَّ تأتِي أنتَ يا دكتور ـ أصلحك الله ـ في آخِر المطاف، لتطعنَ في نياتِنا، وتقُول: «**إنَّنا لم نكن صادقين مع إخواننا**»، إنَّها الجرأةُ الَّتي علَتْك في هذه الفتنَة، وحملتكَ على الطَّعن في الظَّواهر والبَواطن؛ فاسْعَد بها وأضفْها إلى سلسلَة شتائمكَ واتِّهاماتكَ الباطلة الَّتي ترمي بها إخوانَك، وتسجِّلَها في صحيفتِك لتجدَها مسطورةً يوم تقفُ بينَ يدي ربِّك؛ **واعلَم ـ أيُّها الدُّكتور ـ أنَّ مَن ادَّعى أمرًا وهو صادقٌ أبانَ اللهُ صدقَه، ولو بعدَ حين، ومَن ادَّعى أمرًا وهو كاذبٌ أظهرَ الله كذبَه،**

ولو بعدَ حين؛ إذ الصِّدق يهدي إلى البرِّ، والكذبُ يهدي إلى الفُجور.

ثمَّ قال: «**الوجه الثالث: قوله: «لَعُقِد في مكان آخر غير دار الفضيلة»**».

وفي هذَا الوجه خرجَ بنا الدُّكتور إلى موضُوع آخَر بعيدٍ عمَّا نحنُ فيه، وألغَز فيه وأجمَل بحيثُ لا يفهَمُ معاني كلامِه إلَّا النُّدرة منَ النَّاس ممَّن هُم على علم بما يَرمي إليه، لهذَا أجدُني مضطرًّا أن أوضِّحَ كلامَه ليفهمَ القارئُ حقيقَةَ مُراده، ويُدركُ مدَى تغلغُل سُوء الظَّنِّ بإخوانِه في نفسِه، وهو ما يؤدِّي به إلى هذه التَّوهُّمات الَّتي ليسَ لها حقيقةٌ في أرض الواقع إلَّا في مخيِّلتِه، ثمَّ مع مُرور الزَّمن تصير هذِه التَّوهُّمات عندَه قناعاتٍ ويقينًا لا يراودُه فيها الشَّكُّ، ولا يقبلُ فيها المناقشةَ أبدًا، بل ويبني عليهَا أحكامَه الجائرَة، فقَال: «**فأنا أتعجّب من هذا الاعتذار ـ أخي توفيق ـ! وإلاّ فأنا أسألك: أين عُقد اجتماعكم سرًّا مع مَن جاء إليكم على ظهر الشيخ أزهر، وجلستم معه لتستمعوا إلى ما عنده من المآخذ؟ ألم يك في دار الفضيلة؟! وهلا أعلمتم الشيخ أزهر بالموضوع ليقابله علنا بدلا من أن تنفردوا به؟!**».

فلينظُر القَارئ الكريمُ كيفَ يزعمُ ويوهمُ أنَّه اجتماعٌ سرِّيٌّ، والأمر لا يعدُو أن يكونَ زيارةً لمجمُوعة منَ الإخوة من منطقَة باتنة لدَار الفَضيلة ولم يستَقبلهُم غيري، وكانَ برُفقتِهم هذَا الإمام الَّذي كان قَد طبعَ رسالةً في مكتبة القُدس بتقريظ صاحبها (**أزهر سنيقرة**)، ثمَّ دخَل معَه في خلاف حولَ حقُوق هذا المطبوع، وأنَّ صاحبَ المكتبَة طبعَ كميَّةً زائدةً على ما كانَ متَّفقًا عليه، فحدَّثني هذَا الإمامُ عن هذه القضيَّة **ولم يكُن يومَها خلافُهما ظاهرًا**، وممَّا أذكُر أنِّي أشرتُ به عليه يومئذٍ أن نصحتُه بالذَّهاب إلى الشَّيخ فركوس ليطرحَ عليه مسألتَه؛ لأنَّه ـ في نظري ـ هُو الأقدَرُ على حلِّها ومعالجتِها؛ **هذا كلُّ ما حصَل مع هذا الإمام الَّذي كانَ أوَّلَ لقاءٍ لي به وآخرَه**؛ فانظُر إلى تلبيس وتدليس الدُّكتور الَّذي يصفُ المجلسَ أنَّه اجتماعٌ وسرِّيٌّ!! وأنَّه على ظَهْر الشَّيخ (أزهَر)!! وأنَّ جلوسي (جلوسنَا في ظنِّ الدُّكتور) لأجل الاستماع إلى ما عندَه منَ المآخذ!!؛ **فهَل هذَا إلَّا نتيجة سُوء الظَّنِّ الَّذي اعترى عقلَه، وجعله يطلعُ علينَا بمثل هذِه المجازَفات الغَريبة والتَّخرُّصات العجيبَة الَّتي لا حقيقةَ لها إلَّا في ذهنِه.**

وبخصُوص هذَا الموضُوع فقَد طرقناه بعد ذلكَ بحَضْرة الشَّيخ فركوس غيرَ مرَّةٍ؛ لأنَّنا كنَّا نرى أنَّ القضيَّةَ لم تُحسَم بطَريقة شرعيَّة صحيحَة؛ **وقَد قابلتُ بهذَا الكلام (أزهَر) نفسَه في**

دار الفَضيلة، فلسنَا بحاجَة إلى مُزايداتِكَ يا دكتُور!

ثمَّ قال: «**وأين عُقِدَ اجتماعُكم سرًّا مع من جاء على حسَاب ظهري؛ وكيف طابَت أنفسُكم، وسمحتم لمنهجكم أن تستقبلوا، وتجلسوا مع من يغمز الشّيخ رَبيعًا، والشيخ فركوس، ويطعن في الشيخ عبد الغني، والشيخ أزهر، وكاتب الأسطر؛ ويدافع باستماتة عن عبد المالك وإبراهيم الرحيلي، الذي لا يكاد يفارق مجالسه، كلّما حلّ بالمدينة؛ كما يشهد بذلك أهل بلدته؟! ألم يكن في دار الفضيلة؟!**».

عجيبٌ أمر الدُّكتور معَ كلمة «**السِّرِّ**»، فاجتماعَاتُنا عندَه كلُّها سريَّة؛ **وانظُر كيفَ غلبَت الأوهامُ عليه وتعشَّشت في ذهنِه**، وجعلتهُ يُسيءُ الظَّنَّ بإخوانه الَّذين جاءَهُم هذَا المتكلَّم عنه (**أحمد بوقليع**) في يوم من أيَّام اجتماعَات هيئَة تحرير المجلَّة، بعد طُولِ إلحاح منه للقاء بعضِ مشايخ دار الفَضيلة؛ فجلسَ إليهم جلسَةً لم تزد عن نصف السَّاعَة إلَّا قليلا، حاوَل أن يُقنِعَهُم فيها بسَلامة منهَجِه ويذكُر جهُودَه الدَّعويَّة، وأنَّ الدُّكتور جمعَة ظلمَه، وأنَّه بريءٌ ممَّا يرميه به، ونحو ذلكَ؛ **ويعلمُ الله أنَّنا دافعنَا عن الدُّكتور، ونصَحْنا الرَّجلَ وأسمعناه كلامًا لم يُعجبْهُ**، فلمَ كلّ هذَا التَّهويل والتَّشغيب منكَ يا الدُّكتور ـ أصلحَك الله ـ!؟

أمَا كانَ يكفيكَ أن تتأنَّى قليلًا وتُغلِّب الحلمَ والرِّفقَ، وتُخاطبَنا في هُدوء حتَّى تسمَعَ منَّا ما يُزيلُ عنك الهمُوم والغُموم الَّتي علتْكَ بسَبب سُوء الظُّنون، فإنَّ النَّبي ﷺ يقُول: «**ما كانَ الرِّفق في شيءٍ إلَّا زانه**»، ولكن غلبتْكَ سَوْرةٌ غضبيَّةٌ في آخِر اجتماع لنَا[1] بسَبب هذَا الموضُوع، وخاطبتَ إخوانَك بخطابٍ غير لائق ـ للأسَف الشَّديد ـ، ليسَ فيه أدبٌ ولا احترامٌ؛ **وقَد أخبَرَكَ الشَّيخ نجيب جلواح بما جرَى ودفاعَنا عنكَ؛ لكن مع ذلكَ تأبَى إلَّا أن تبقى مُصرًّا على إساءة الظَّنِّ بنا**؛ بل رُحتَ تزعمُ للشَّباب أنَّ المشايخَ تكتَّموا على مسألة زيارة (أحمد بوقليع) للدَّار، ولم يُثيروها حتَّى أثرْتَها أنتَ في آخِر المجلس، **والواقعُ ـ يا دكتور ـ أنَّ المشايخَ لم يدُر في خلدِهم ما توهَّمتَه أبدًا، وإنَّما تجاوزُوا الموضوعَ ولم يعدُّوه ذا بالٍ؛ لأنَّهم لم يختَلفوا معَك في الحكم والنَّتيجة**.

ثمَّ بعد هذَا أخذَ الدُّكتور يذكُر ملابسَات **مجالسِه الثَّلاثة الَّتي عقَدها هُو مع مَن ذكرتُم له منَ المخالفين في ردّي عليه، وينفي عنهَا السَّريَّة، ويُسوِّغ جلوسَه معَهُم**، وأنَّه استشَار المشايخ ويقصدُ

(١) بتاريخ ١١/ ١٠/ ١٤٣٨هـ الموافق لـ ٥/ ٧/ ٢٠١٧م.

بذلكَ الشَّيخ فركوس، والشَّيخ عبد الغني، والشَّيخ (أزهر)، معَ أنَّ الشَّيخَ عزَّ الدِّين هُو أولى بالمشُورَة؛ لأنَّه في أغلَب المراحِل هُو مَن يرأسُ اجتماعَات المشايخ، مع هذَا أعرضَ الدكتورُ عن مشُورَته!؛ وبخاصَّة فيما يتعلَّق بـ (**عَبد الغني يخلف**) لقُربه مِن هذا الموضوع وعلاقتِه به؛ **ومع هذَا لم يحصُل أنَّ الشَّيخ عزَّ الدِّين أساء به الظَّنَّ، أو قالَ له: إنَّك اجتمعْتَ به على (حسَاب ظهري) ـ على حدِّ تعبير الدُّكتور ـ، كما هُو الحال مع بقيَّة المشايخ ممَّن لم يعلمُوا بمجلسِه هذا إلَّا أخيرًا**.

ولم يكن لي قصدٌ من إيرادي عليكَ أمرَ هذه الجلسَات، **سوى لأنبِّهَك على أنَّه لا يجوز التَّفريق بينَ المتماثلات**، ولتعلَمَ أنَّ المشايخَ الَّذين اتَّخذتَ جلستَهم مع عبد المالك ذريعةً للطَّعن فيهم، لم يُسيئوا بكَ الظَّنَّ بمُجرَّد جلوسِك مع هؤلاء، ولم يصِفُوا جلساتك بأنَّها سرِّيَّة، ولم يبحثُوا أصلًا عن فحوَى تلكَ اللِّقاءات، فأردتُ منك أن تُعامِلَهُم بمثلِ مُعاملتِهم لكَ فقط؛ لأنَّه لا فرق بينَك وبينَهم؛ ولم يكُن قصدي التَّلبيس ولا المغالطَةُ ـ كما زعمتَ ـ.

وأمَّا المغالطة والتَّلبيسُ فأنتَ مَن وقَع فيهما حينَ قلتَ: «**والحاصل: أنَّه لم يدعني ـ أي عبد الغني يخلف ـ إلى وليمَته، كما دعَا إليها بعض أصحابك، وأصرّوا على الاستجابة؛ فإذا كان هناك مؤاخذة فكان الأولى بك أن توجّهها لهم لا أن تداريهم ـ كما هو المعهود عنك، للأسف**».

وهذَا إن دلَّ على شيء إنَّما يدلُّ على العجلَة والاندفاع الزَّائد في الخصومة، وعلى عدم تحرِّيك وقلَّة تثبُّتِك في الأخبَار، والفرحِ بكلِّ نقلٍ تجدُ فيه الطَّعنَ على مخالفِك؛ **وهذا ليسَ من الدِّين ولا منَ السَّلفيَّة في شيءٍ** ـ يا دكتور ـ؛ لأنِّي أعلمُ أنَّ في مخيِّلتِك أنَّ مَن حضر الوليمةَ هو **الشَّيخ عزُّ الدِّين، والشَّيخ رضا**؛ وهذا غيرُ صحيح البتَّةَ؛ وأُبشِّرُك بالخبر اليَقين وهُو أنَّ مَن حضر الوليمةَ إنَّما هُما الشَّيخَان **نجيب جلواح ومحمَّد بوسنَّة**[1]؛ فانظُر ـ إذَن ـ كيفَ تتصرَّف معَهما ولا تُداريهما؛ وإن كنتَ في ريب مِن خبَري فاسأَل تجد الجوابَ؛ وكانَ عليكَ أن تتثبَّتَ في النَّقل ولا تتسرَّع، وتعمَل بقولِ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [سُورَةُ الحُجُرَاتِ]؛ وإنِّي أنصحُكَ أن تنفضَ ذهنَكَ قليلًا لتتساقطَ منه ظنونُك السَّيِّئة الَّتي أوردتكَ مثل هذه الموارِد الخائبَة، وحاول أن تجعلَ لإخوانِك نصيبًا ممَّا

(١) وقد وقع في مثل هذه العثرة ـ أيضا ـ (أزهَر) حين لم يتثبَّت وظنَّ أنَّ مَن حضر الوليمة هو (الشَّيخ عزُّ الدِّين)، فكتَب تغريدةً يلومُ فيها بشدَّة من يحضر أفراحَ المخالفين؛ ثمَّ أُسقط في يده لمَّا علم أنَّ الحاضر هو الشَّيخ نجيب! ولمَّا لقيَه قال له: «**لَمْ أعنِكَ أنتَ**»!!

اعتذرتَ به لنفسِكَ، حين قلتَ: «أمَّا أنا فللَّه الحمد، كان لقائي به من أجل الدعوة، والرفق بالمخالف؛ ولم أنفرد في ذلك برأيي».

ثمَّ أوغَل الدُّكتور ـ أصلحَه الله ـ في المغالطة والتَّلبيس، ومحاولة صرفِ النَّظر عن لبِّ الموضُوع والتَّشويش على القَارئ، وهو أمرٌ مذمُومٌ في باب المناظَرة والمناقشَة؛ فراح يوجِّه إليَّ سُؤالا:

فقال: «أين استنكارك على صاحبك الذي زار الحلبي في «فندق التوحيد» بمكة؟!».

لستُ أدري مَن يقصد بصَاحبي! وغالبُ الظَّنِّ أنَّه يقصدُ الشَّيخَ عزَّ الدِّين، **ولقاؤُه بالحلبي كان مرَّة واحدةً في حجِّ سنة ١٤٣١هـ، وقد لقيَه بتفويضٍ من جميع المشايخ ـ وكنتَ منهم ـ ليُسلِّمَه رسالةً حملت نصيحةً له بتَوقيع الجميع؛ وبعدَها لم يلْقَه مرَّةً أخرى فيما أعلم**؛ ومَن أراد التَّأكُّد فليتوجَّه إليه بالسُّؤال؛ فأينَ زارَه مرَّةً أخرى ليُنكَر عليه!؟ أم إنَّه إلصَاقُ التُّهم بالكَذب والبُهتان يا دكتُور!؟

وأمَّا إن قصَد بصاحبي الشَّيخ رضا، فإنَّه لم يلقَه أبدًا منذ أن كانَ طالبًا في الجامعَة الإسلاميَّة بالمدينة النَّبويَّة.

ثمَّ قال: «وأين استنكارك على الشيخ عزالدين وطيبي ورضا الذين زاروا مشهور حسن، وأبديتم إعجابكم به، وبتحقيقاته، وكلّمتني أنت شخصيًّا بهذا معجبًا به، وأنكرت عليك ذلك؟!».

أمَّا قولكَ: «زاروا مشهور حسن» فهذا تخرُّصٌ وادِّعاءٌ؛ لأنَّ الواقعَ أنَّ بعضَ الشَّباب دلُّوا مشهورًا على الشَّيخ عزِّ الدِّين، فجاءه طالبًا منه التَّوسُّط له عندَ صاحب إحدى المكتبات بالجزائر ليستَرجع منه بعضَ حقوقه الماديَّة، وهذا بمكَّة في حجِّ سنة ١٤٣٥هـ؛ فاهتبلَها الشَّيخُ عزُّ الدِّين فرصةً ليُعبِّر له عن تذمُّر المشايخ كلِّهم عندنا ممَّا ما كان يقعُ يومَها في منتَديات «كلِّ السَّلفيِّين» الَّذي يُشرف عليه صاحبُه عليُّ الحلبي مِن اعتدَاءات وجهَالات على السَّلفيِّين والطَّعن في علمائهم الكبَار.

وأمَّا قولك: «أبديتُم إعجابَكم به...» إلخ؛ فهذا ـ أيضًا ـ محضُ أوهام لا محلَّ لها إلَّا في ذهنك، فأعِدْها إلى كيسِك ولا تُخرجها مرَّةً أخرى، فإنَّها من عندياتِك.

ثمَّ قال: «وما يحزّ في النفس كثيرًا استنكارك وتكذيبك لحرصك مع صاحبك على لقاء عبد المالك؟! الذي أثاره بالمدينة؛ فوالله لقد اتّصلت بك، وأقررت به؛ وأيضا لمّا طرح في الاجتماع ونفيته، طُلب منك تكذيب عبد المالك، وقيل لك: إمّا أن تكذّب، وإمّا أنّ التهمة لاصقة فيك. فأبيتَ أن

تكذّب. فبدلا أن تكذّب عبد المالك، تستأسد في بيانك، وتطلق لسانك دون أدنى خجل، أو ورع من الكذب ـ أصلحك الله ـ؛ فاللّهمّ رحماك من التلوّن، والتلبيس، والمغالطة، والكذب».

إنَّ هذَا الكلام مِن عجيبِ أسلوبِك في التَّباكي والمراوغَة، أنا أُنكر خبرَك الَّذي لم أسمَع به إلَّا مِن جهتِك، وأحلفُ لكَ أنَّ ما تدَّعيه لم يقَع؛ والنَّبيُّ ﷺ يقُول: «اليَمينُ على مَن أنكر، والبيِّنةُ على المدَّعي»[1]، وفي «الصَّحيحين»: «أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قضَى باليَمِينِ علَى المُدَّعَى علَيْهِ».

فماذا تُريد منِّي أكثَر مِن هذَا !؟

لكنَّكَ تُصرُّ وتقُول: «وقيل لك: إمّا أن تُكذِّب، وإمّا أنّ التهمة لاصقةٌ فيك. فأبيتَ أن تُكذِّب»، فكأنَّك ترى أنَّ يميني على الإنكار لا تُفيد شيئًا ولا تعني تكذيبًا؛ فأيُّ فقهٍ هذا الَّذي أنتَ عليه!؟ وأيُّ علم هذا الَّذي تعمَل به!؟ فكأنَّه لا هَمَّ لكَ سوى إلصَاق التُّهمة بنا، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله.

واعلَم يا دكتور ـ أصلحَك الله ـ أنَّ هذا التَّصرُّفَ منكَ يضعُك على خطٍّ واحد مع طائفة الحدَّادية، قال الشَّيخ العلامة ربيع بن هادي المدخَلي: «الحدَّادية لهم أصلٌ خبيثٌ، وهُو أنَّهم إذا ألصقُوا بإنسَان قولا ـ هُو بريءٌ منه يُعلنُ براءتَه منه ـ، فإنَّهُم يصرُّون على الاستمرَار على رمي ذلكَ المظلُوم بما ألصَقُوه به، فهُم بهذَا الأصل الخبيثِ يفُوقُون الخوارجَ».

(١) أخرجه البيهقي في «الصغرى» (٣١٦٨)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٦٦١).

قال: «**المطلب الثاني:**

في ملابسات جلسة عبد المالك مع الأخ توفيق ومن معه»

وشرع في ذكر وجوه؛ وبدأ الوجه الأوَّل بزعمِه أنِّي بذلتُ قُصارى جُهدي للتَّلبيس والمغالطة عمَّا دار في الجلسَة، وراحَ يُعيد ما ذكَره عبد المالك في صوتيَّته، **وقَد أجبتُه عنه في المقال الأوَّل**؛ لكنَّ الدُّكتور ـ أصلحَه الله ـ قَال بعد ذلكَ:

«**وقد مضى على هذا أكثر من ثلاثة أشهر، والتزمت الصّمت، ولم تتكلّم، ولم تجب عليها ـ مع قيام المقتضي، وتوفّر الدواعي على الردّ؛ إذ لم يمنعك من ذلك مانع ـ؛ حتى الشيخ عزّ الدين سكت على هذا، ولم يعلّق في بيانه على الصّوتِيتَين إلا على مقولة عبد المالك، وقضية الشيخ أزهر؛ وهذا سكوت منكم؛ والسكوت في معرض الحاجة بيان**».

سكتُّ أنا وسكت مَن حضر اللِّقاءَ معي منَ المشايخ، لأنَّنا قدَّرنا أنَّه لم يعُد يُصدَّق عبد المالك في كثير ممَّا يقولُه؛ ويكفي تكذيبه الصَّريح لما نُسِب إليه، وبقيتَ أنتَ تصرُّ على تصديقِه وتُحاججنا بتصريحاتِه، **وأمَّا سكوتَنا عمَّا أذاعَه (أزهَر) عنه من تلكَ الكلمتَين كان عن تقدير واجتهَاد كما وضَّحَه الشَّيخ عزُّ الدِّين في بيانه الَّذي قُرئ على العلماء ولم يروا في ذلكَ بأسًا؛ لأنَّه ليسَ كلُّ سكوتٍ مذمُومًا، ولا كلُّ سكوتٍ إقرارًا**، ولا شكَّ أنَّه مرَّ عليكَ قاعدةٌ مأثورةٌ عن الشَّافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقولُ فيها: «**لا يُنسَب إلى ساكت قولٌ**»؛ وأمَّا مسألةُ تحديد الحاجَة إلى البيَان قَد تختلفُ فيها الأنظار، وتتضَاربُ فيها الآراء.

ولكَ أن تلومَنا ـ أيضًا ـ على إحجامِنا عن الكَلام وسكوتِنا مِن قبلُ على (أزهَر) **وما كانَ يصدُر منه مِن مُخالفات وطوام علميَّة ومنهجيَّة كبعض بياناتِه الَّتي كان يُصدرُها، وموقفِه من الحقوقي (أنوَر مالك)، وسوء تصرُّفِه في قضيَّة طبع رسالة ذاك الإمام مِن أمِّ البواقي، وتعريضِه بالشَّيخ عبد المحسِن العبَّاد في تغريدتَيْن له في شهر رمضان[1]، ثمَّ حذفَهُما، ونحوها، إضافةً إلى الفاقرة الكبرى بيعه لكُتب المبتَدعة والمنحرِفين في مكتَبته**، وكانَ سكوتُنا بعدَم إظهار أمرِه وإفشائِه للعَلن، **وكنَّا نكتَفي بالمناصحة سرًّا فيما بينَنا، طيلةَ كلِّ هذه المدَّة.**

---

(١) وهي بتاريخ ٢٠/ ٩/ ١٤٣٨ قال في الأولى: «جزى الله خيرا الشيخ عبد المحسن في رده على المغامسي الذي من انحرافه تصحيحه لتلك المذاهب الباطلة؛ فحبذا لو ردَّ على سابقه الذي زكى وثيقة هؤلاء»، وقال في الثانية: «وددنا من الشَّيخ العباد بعد رده لبين للأمة الموقف الشرعي إزاء هذا المفتون، ولا أظن أن المغامسي على طريقة الرحيلي والسحيمي في اللجوء للقضاء»؛ وقد شهدتَ أنتَ ـ يا دكتور ـ أنَّ فيها تعريضًا بالشَّيخ عبد المحسن العبَّاد؛ ولا شكَّ أنَّ مَن ولَغ في عرضِ مثلِه كانَ كمَن التهَم لحمًا مسمُومًا.

كما هُو حالُك أنتَ ـ أيضًا ـ كنتَ ساكتًا صامتًا كلَّ الفترة الفائتة، إلى أن جئتَ اليومَ بأسلوبك الجديد فخرجتَ مِن عندِنا ورُحتَ تطعَنُ في أعراض إخوانكَ الأبرياء بغَير وجه حقٍّ، وتُفشي أسرارَهُم وتهتكُ أستارَهم، وتقدحُ في أمانتِهم ودينِهم، وتجمعُ معايبَهم، وتُذيعُ مثالبَهم، وتُوغر صدورَ الشَّباب عليهم، **ولكنَّك في المقابل تسكتُ عن (أزهَر) لموافقَتِه لكَ وركوبِه حمْلتَك، وتجعلُ منه محنةً، لتطعنَ في كلِّ مَن يطعَنُ فيه!!**

وقال: «**الوجه الثاني: فهذه المدّة كلّها، كنتَ كالأصمّ الأبكم، لا تحرّك ساكنا، ولا تطلق لسانا حتى أثرتها أنا؛ حينها ثارت مشاعرك، وتحرّكت داعيتك للردّ. ألا كان الأجدر بك ـ أخي توفيق ـ والأحرى أن تردّ على عبد المالك وقتئذ بدلًا من أن تردّ عليّ؟!**».

لَمَّا أثرتَها أنتَ فهمتُ منكَ أنَّك صدَّقتَ (عبدَ المالك) في كلِّ ما قالَه، وأخذتَ تبني على ذلك أحكامَك الجائرَة، فتزعُمُ أنَّ سكوتَنا كانَ عن موافقَة له، وتواطؤ معَه، ونحو هذَا الهُراء الَّذي تدَّعيه دونَ حجَّة أو بُرهان، ومعنى ذلكَ أنَّك صرتَ تتَّهمُنا في ديننا ومنهجِنا، وأثرُ كلامِك أنتَ ليس كأثر كلامِه، فأنتَ قريبٌ منَّا إذ نعمَل سويًّا ونحرِّرُ بياناتٍ معًا، فالنَّاسُ تظنُّ صدقَك وعدلكَ؛ وفي الحقيقة أنَّك ظالمٌ جائرٌ مُبطلٌ، والله تعالى أمَر بدفع الظُّلم، فقال: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ]، وأمر بنُصرة الحقِّ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ].

هذا الَّذي حرَّكني للرَّدِّ عليك؛ **فأنتَ تُريد بكلامِكَ الإطاحةَ برجال قامَت ـ بفَضل الله ونعمتِه ـ بجُهودِهم دعوةٌ سلفيَّةٌ مباركةٌ في بلدنا الحبيب، منذُ سنين، وشهدَ على ذلكَ القَاصي والدَّاني**، وقد قال الشَّيخ ربيع ـ حفظه الله ـ في إحدى صوتيَّاته الَّتي لم تفرَح بها: «**فقَد بلغَني أنَّ هناكَ خلافاتٍ قائمَةً بينَ الإخوان السَّلفيِّين في الجزائر، وما كانَ يُنتَظر هذَا منهُم، لقَد كانَت دعوتُهم قويَّةً حينَما كانَت كلمتُهم واحدَةً**»، فشَهد هذا العالمُ الخبيرُ والنَّاقد الخرِّيتُ بأنَّ الدَّعوة عندنا كانت قويَّةً؛ فهي قويَّةٌ بالله ثمَّ بهؤلاء الدُّعاة ـ لو كنتَ تعقلُ !! ـ، **وجئتَ أنتَ تُريد نسفَهُم وإسقاطَهم، وتشكيكَ النَّاس في علمِهم وعدالتِهم وديانتِهم؛ إنَّ صنيعَك هذا من أعظم الظُّلم وأبطَل الباطل.**

ثمَّ لأنَّ تشغيبَك قد انطَلى على كثير من الشَّباب، وحسبُوا أنَّك تنطَلقُ في حملتِك الجائرَة من قواعِد سلفيَّة، **والحقيقَة أنَّها حملةٌ خاليةٌ منَ الحكمَة والحجَّة والدَّليل، وهو عكسُ ما تقومُ عليه هذه**

الدَّعوة المباركَة؛ قال ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «**مَن فارقَ الدَّليلَ ضَلَّ السَّبِيل، ولا دليلَ إلَّا بمَا جاءَ به الرَّسُول**»[1]؛ فهذا ما دعاني إلى عدم السُّكوت عليكَ.

مع أنَّنا سكتْنَا عنكَ قُرابة سبعَة أشهُر، وانتظرنا لعلَّك تستَعتب وترجع إلى رُشْدك، ثمَّ رغمَ مُناشدَات عُلمائنا الكبَار المتكرِّرة إلَّا أنَّك أبيتَ إلَّا مواصلَة ما بدأتَه، وتنفيذَ ما أعددتَ له؛ **فمثلُك لا يجوزُ السُّكوتُ عنه أبدًا، والعُلماء يؤكِّدون على ذلكَ**.

ثمَّ قال: «الوجه الثاني: أنّه ما تسرّب من اجتماعكم بعبد المالك هو قوله: إنّ الشيخ ربيعًا كذّاب، والشيخ عبيدًا مَافِيَا. وإنّي لأتعجّب منكم ـ والعجائب جمّة ـ، أنّه كيف سمحت لكم أنفسكم أنّ تتكتّموا على هذا المقولة الشنيعة، والكلمة الفظيعة طيلة سنتين وأكثر؛ والشيخ عزّ الدين يقول في بيانه: «كلّ ما في الأمر أنّنا تأخّرنا عن الإدلاء بما جرى في تلك الجلسة لوجهة نظر ارتأيناها نابعة عن اجتهاد وقصد حسن». هل تأخّركم عن الجواب عن هذا نابع عن اجتهاد وحسن نيّة؟ أم أنّ هذا الأمر يتعلّق بأعراض العلماء التي يجب الذبّ عنها في وقتها، ولا يجوز تأخير بيانها عن وقت الحاجة. لا سيما وأنت تقرّ بفظاعتها، حيث قلت: «إنّ هاتين الكلمتين هي أشدّ ما تفوّه بهما عبد المالك، فذكرهما يغني عن كلّ كلام آخر سمع منه».

فكيف تقرّ أنّها أشدّ ما تفوّه بهما عبد المالك، وتكتّمتم عنها هذه المدّة كلّها؟! وتقول ـ تناقضًا منك ـ: «كان مجلس صلح»».

وهذا كلُّه مزايدةٌ منكَ، وذرٌّ للرَّماد في الأعيُن، فتُوهم القارئَ أنَّك تُقدِّر الشَّيخَيْن ربيعًا وعُبيدًا تقديرًا عظيمًا؛ وأنَّك لا تقبَلُ الكلامَ فيهما أبدًا؛ وأنا أقولُ لك: إنَّك ـ في نظري ـ لا تختَلفُ كثيرًا في تعامُلك الأخير مع نصائح الشَّيخ ربيع ـ حفظه الله ـ عن (عبد المالك)؛ فهُو رماه بالكَذب بلسَان قالِه، وأنتَ تكذِّبُه بلسانِ حالكَ وفِعالك، وإلَّا فهل معنى الذَّبِّ عن عِرض العالم هو دفعُ الفِرى والتُّهم عنه فقَط؟ أم هُو احترام رأيه والتزامُ نصيحتِه، والاهتمام بكلامِه، فأنتَ ومَن وافقَك طمسْتُم كلامَ الشَّيخ ربيع، ولم تُريدُوا له أن ينتَشر وأزعجكُم كثيرًا أن يسمعَه النَّاسُ، ورُحتُم تضربُون له التَّأويلات وتُوردُون عليه الاعتراضَات، وأنَّ الشَّيخَ ربيعًا أوصَلُوا إليه معلومات خاطئة وأخبارًا كاذبةً، ونحو ذلك من الاعتذَارات الباردة الَّتي تسوِّغون بها لأنفسِكم طرحَ كلام هذَا الإمام الهُمام

(١) «مفتاح دار السَّعادة» لابن القيِّم (١/ ٨٣).

وعدم الالتفاتِ إليه؛ ألا يُعدُّ هذَا إهانةً للشَّيخ وتجرُّؤًا عليه، بل ولسانُ حالكُم يقُول: لم يُحسن الشَّيخُ القولَ، ولم يُصب الرَّأيَ!!

ها قَد رحَل (أزهَر) بنفسِه إلى الشَّيخ ربيع ـ حفظه الله ـ، وأعطاه الخبر الصَّحيح، والنَّبأ اليَقين، فهل تغيَّر موقفُ الشَّيخ؟! وهل وضَح له شيءٌ لم يكُن واضحًا، أو ظهَر له ما كانَ خافيًا؟! أم إنَّ الشَّيخَ بعد خروج (أزهَر) من عندِه **أعادَ التَّأكيدَ على وصيَّته ونصيحتِه وهي الاجتماع دونَ شرط مسبَق، وأنَّ العبرةَ بالحجَّة والدَّليل**[1].

فأرِنا مِن نفسِك ـ يا دكتور ـ أنَّك تغارُ على عِرض الشَّيخ ربيع، ولا تُريدُ لكرامتِه أن تُمسَّ؛ لنَعلَم أنَّك تُقدِّره حقَّ قدرِه، **وإلَّا فقَد بانَ لنا منكَ في هذه الفتنَة وجهٌ آخَر كان خافيًا في مسألةَ التَّعامُل مع كلام العُلماء الأكابر ونصائِحهم إذا لم تأتِ على وفْق ما تحبُّ أنتَ ومَن معكَ.**

أمَّا قولك: «وتقول ـ تناقضًا منك ـ: «كان مجلس صلح»».

هذا منَ التَّلبيس والتَّزوير، وتحريفِ الكلام، والبيانُ موجودٌ على الشَّبكة ومُتداول، فليُرجع إليه، وليسَ في كلامي أبدًا أنَّه «كانَ مجلس صُلح»!! فلمَ هذا التَّجنِّي ـ يا دكتور ـ؛ ثمَّ أينَ وجه التَّناقُض؟!

ثمَّ قال: «وأيضا، كيف يُسبّ الشيخان، وَيُطعن في أعراضهما؛ فيُرمى الشيخ ربيع بالكذب، والشيخ عبيد بالعصابة الإجرامية «مافيا»؛ كبُرت كلمة تخرج من فيه إن يقول إلا كذبًا؛ ووالله الذي لا إله غيره، لم يتفوّه بها من هو ألدّ الخصام لهما؛ لا الترابي، ولا القرضاوي، ولا الغنوشي[2]، ولا الحلبي، ولا المأربي، ولا غيرهم، بل لم يتفوّه بها أحد؛ وأنت ـ ومن معك ـ أكّدتم، وجزمتم، وقطعتم بنسبتها إلى عبد المالك، وأنّها خرجت من فمه في ذلك المجلس؟! فكيف طابت أنفسكم، وسمحت ديانتكم، ورضيتم لأن تبقوا، وتكملوا معه الجلسة؟! ألَا كان الأجدر بكم أن تقفوا

---

(١) وهنا موقفٌ غير مشرِّف يُحسَب على (أزهَر) أيضًا، إذ تكتَّم على ما سمعَه منَ الشَّيخ ربيع ـ حفظه الله ـ من نصائح متعلِّقة بهذه الفتنَة؛ مع أنَّ الأمانةَ توجبُ عليه أن ينقُلَ لمن وراءَه العلمَ ويصدَع به حتَّى وإن جاءَ على خلافِ ما كان يتوقَّع؛ فالخيرُ والبركةُ في علم الأكابر، وهذا الموقف يذكِّرني بموقف علي بن حاج لَمَّا خانَ مَن وراءه وتكتَّم على ما سمعَه من الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ من علم ونصائح، ولم يبلِّغهم إيَّاها، بل تجرَّأ واشترط على الشيخ ألَّا ينشر التَّسجيل.

(٢) لو ذكر عبد الرحمن عبد الخالق، وعدنان عرعور، وعبد الرحمن المغراوي وأمثالهم لكان له وجه؛ أما هؤلاء الثلاثة فلم يدخلوا مع الشيخين ربيع وعبيد في مساجلات ولا ردود علميَّة ـ فيما أعلم ـ؛ فلا أدري ما وجه إيرادهم هنا!!

وقفة واحدة فتطردوه من مجلسكم، وتفضحوه عَلَنًا، ببيان أو نحوه، وأن تشكوه إلى فضيلة الشيخ العلَّامة عبد المحسن العباد ـ سلَّمه الله ـ بدلًا من أن تكون كالميّت طيلة هذه المدّة المديدة، ثم تستيقظ من سباتك، وتفتح عينيك فلا ترى أمامك إلا هذا العبد الضعيف عبد المجيد، فتصدر فيه بيانًا، لتحفظ ماء وجهك».

وهذا كلُّه منَ الاستعراض الزَّائف، وإظهار المبالغَة في الغَيْرة على أعراضِ العُلماء، وأنَّه لا يتحمَّل سماعَ الطَّعن فيهم، ويُريد أن يُزايد علينَا ويقُول: «ألَا كان الأجدر بكم أن تقفوا وقفة واحدة فتطردوه من مجلسكم، وتفضحوه عَلَنًا، ببيان أو نحوه...».

واللهُ تعالى يقول لنبيِّه موسَى وأخيه هارون عليهما السَّلام: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [سُورَةُ طٰهٰ]، وأظنُّك ـ يا دكتور ـ لا تختلفُ معي في أنَّ شناعَةَ قولِ فرعون لا تُوازيها شناعةٌ؛ ومعَ ذلكَ أمرَهُما اللهُ بالذَّهاب إليه وإلانةِ القَولِ لهُ ؟

ذلكَ لأنَّ المقامَ مقامُ محاوَرة ونُصْح وإقامةٍ للحجَّة؛ ومثلُه ـ أيضًا ـ ما وقَع لإبراهيم عليه السَّلام، قَال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨﴾ [سُورَةُ البَقَرَة]، فلم يقُم منَ المجلِس ولا تركَه؛ بل حاجَّهُ وأفحمَه.

فلا تُوهمِ النَّاسَ يا دكتور أنَّك شديدُ الغَيْرة على أعراض العُلماء، وأنتَ تاركٌ لنُصحهم ومُهمِلٌ لتوجيهاتِهم؛ فاصدُق الله يصدُقْك...

ثمَّ أغرَقَ في الإثارة والتَّشغيب، وجعَل يقُول: «أين غيرتكم؟! أين دفاعكم عن الشيخين؟! وأين انتسابكم إلى الشيخين؟! وأين؟! وأين؟! وأين؟!...».

يا دكتُور ـ هدَاك الله ـ إنَّك تعلمُ يقينًا **أنَّ المعنيَين بالأمر وهُما الشَّيخ ربيع، والشَّيخ عُبَيد ـ حفظهما الله ـ**، قَد بلغَهُما ما قيل فيهما، ولم تثُر عندَهُما كلَّ هذه الأحاسيس، ولم تتحرَّك عندهما كلَّ هذه المشاعر الفيَّاضة الَّتي تحرَّكت عندَك، **وذلكَ لأنَّهما عالمان جليلان يغضَبان لله ولرسُوله، وينتَصران للحقِّ وحدَه، ولا يهتمَّان لمدح ولا إطراء، ولا يكترثان لذمٍّ ولا إغضاء؛ ولا يبحثَان عن مجدٍ ولا رياسَة.**

فلو كُنتَ تعقل ـ يا دكتُور ـ، وتُحسنُ الظَّنَّ بإخوانك، لأيقنتَ أنَّ إخوانَك يُقدِّرون الشَّيخَين ـ ربيعًا وعبيدًا حفظهما الله ـ وقد قامُوا بما يجبُ عليهم نحوَهُما في حينِه، وليسُوا بحاجَةٍ إلى سَماع

تشغيبَاتِك ومُزايدَاتِك.

ولو كنتَ منصفًا لعَلمتَ أنَّ أهمَّ ما في موضوع هذه الجلسَة، هو نتيجتُها **وخُلاصة ما انتهينَا إليه، وهو أنَّ الرَّجلَ لم يعُد سلفيًا ولا أمَل في عودتِه إلَّا أن يشَاء الله، بعد أن استَنفذنا ما في وُسْعِنا لنُصحه وتذكيره.**

فما يضرُّك لو جهلتَ جميعَ ما وقَع فيها مِن تفاصيل، وعلمتَ هذه النَّتيجَةَ المتَّفق عليها بينَ الجميع!!

لكنَّ ولوجَكَ في حمأَة الخصُومة يدفعُك إلى كلِّ هذَا اللِّجاج والتَّطويل في الكَلام، والحوْم حولَ جزئيَّاتٍ وأوصافٍ طرديَّة لا أثَر لها في الحكم، ولا يُلتَفتُ إليها شرعًا ولا عقلًا؛ وأبيتَ إلَّا التَّعنُّتَ ونسْبَتَنا إلى الكذِب، وأنَّنا لم نُعلِم المشايخ ولو بمُلخَّصٍ عن الجلسَة، لذَا تجرَّأتَ جرأَةً عظيمةً، وركبتَ مركبًا صعبًا، فنفيتَ ما هو واقعٌ، وكذَّبتَني وأقسمتَ على ذلكَ!؛ فالله حسيبُكَ! حيثُ قُلتَ في الوجه الخامس بعد أن سُقتَ قولي: «ذكر الشيخ عزّ الدين خلاصة عن ملابسات تلك الجلسة وما دار فيها...»: «**فهذا كذب ـ وربّ الكعبة ـ لم يتمّ ذلك، بل استنكرنا عليكم عدم تقديم تقرير عمّا دار بينكم؛ وإلا لماذا ثار هذا الخلاف لو كنت صادقًا؟!**».

هذا جوابُه أمران:

أوَّلهما: أنا ما ذكرتُه بناءً على ما رسَخ في ذاكرتي، وزاد يقيني لمَّا وجدتُه مكتوبًا عندي في أوراقي الَّتي هي بمثابة محاضر الجلسَة، وقد ذكرتُه لكَ مؤرَّخًا، وأنتَ كنتَ حاضرًا غير غائب كما هو مُسجَّلٌ عندي، وقد سبقَ لكَ آنفًا وأن أشرتَ إلى أنَّه جرى حديثٌ حول الجلسَة، ومسألةَ اشتراط عدم حضور المشايخ الأربعة؛ فكيفَ تُقسم هُنا بربِّ الكعبة أنَّه لم يتمَّ ذلكَ!!

وثانيهما: أنَّ الأمر لا يتعلَّقُ بي ولا بكَ فحسْب، فهُناك بقيَّة المشايخ الَّذين كانُوا حضُورًا معنَا، وهُم ـ بحَمْد الله ـ أحياءٌ يُرزَقون، فعلى مَن أراد أن يستَوثقَ الخبَر أن يتبيَّن منهُم؛ والمعصومُ مَن عصمَه الله.

قال: «المطلب الثالث:

في توضيحات وتعليقات على بعض ما ورد في بيان التوضيح».

زعَم أنِّي شحنتُ بياني بالمغَالطات والتَّلبيس؛ وسنَرى مَن أحقّ بهذا الوصف.

قال: «أولا: أنّك تتّهمني أخي توفيق بسوء الظنّ ـ سامحك الله ـ وليس أحدٌ أحسن الظنّ بكم مثلنا؛ فقد صبرنا معكم وعليكم أكثر من عشر سنين، وكنتم تديرون دار الفضيلة كيفما شئتم، ولم نزاحمكم، ولم ننازعكم في شيء من إدارتها، وغيرها؛ لا الموقع، ولا المجلة (رغم الأخطاء العلمية والمنهجية الكثيرة والمتكرّرة فيها، ولطالما استنكرناها عليكم، ولم تستجيبوا)، ولا، ولا، ولا؛ بل كنّا نحضر المجالس في مناسبات، وننصرف؛ واليوم ترميني بسوء الظنّ ـ كذبا وزورًا ـ ضاربًا عرض الحائط كلّ ما كان بيننا».

أوّلا: أنا لا أتَّهمُك بسوء الظَّنِّ، بل صنيعُك وأحكامُك علينَا وأقوالُك فينَا هي الَّتي تُنادي بأعلى صوتِها أنَّك سيِّءُ الظَّنِّ بنا، وإلَّا كيفَ تُفسِّر لي أنِّي أحلفُ لكَ مُنكرًا على ما اتَّهمتَني به من زيارة (عبدِ المالك)، وأنتَ تأبى إلَّا إلصاقَ التُّهمة بي؛ فهل يا تُرى هذا صنيعُ مَن يُحسنُ الظَّنَّ!

ثانيا: أمَّا صبرُك معنَا وعلينَا أكثَر مِن عشرِ سِنين، فليسَ لك فيه مزيَّةٌ على غيرِك، فهُو أمرٌ مُتبادَل، فنحنُ أيضًا صبَرنا عليكَ، وهُو مِن طبيعة العَمل الجماعي، ولولا هذَا الصَّبر ما استمرَّ اجتماعُنا كلَّ هذه المدَّة وباركَ اللهُ فيه، وجعَل فيه خيرًا كثيرًا، **فالأخطاء والهفَوات تصدُر منَ الجميع ولا يسلَمُ منها أحدٌ كائنًا مَن كانَ**، لكنَّ الأمر المتيقَّن أنَّ الاجتماعَ قوَّةٌ وسترٌ ورحمةٌ، لكنَّه يتطلَّبُ صبرًا كثيرًا، فالله تعَالى يقُول: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠].

ثالثًا: أمَّا إدارتُنا لدَار الفَضيلة، فلم تكُن كيفَما شئنَا، وإنَّما نُديرها بما يوافقُ الشَّرع والحكمَة والتَّعقُّل بما يضمَن لها الاستمرار والبقَاء والنَّجاح، وهو ما حصَل بفَضل الله ومنَّته.

وأمَّا عدمُ مزاحمتك وأنَّك لم تُنازعنا في شيءٍ مِن إدارتها؛ فليتَك فعلتَ لتحملَ معنَا بعضَ العِبء، وتكونَ لنا مُعينًا ونصيرًا، وكم كانَ يُسعدُنا ذلكَ لو تحقَّق؛ **لكنَّك للأسف الشَّديد كنتَ أكثر المشايخ تغيُّبًا عن الاجتماعات الدَّوريَّة، فضلًا عن أن يُطمع فيك أن تعمَل عملا دائمًا معنا، وغالبًا ما كنتَ تتعلَّل بآلام ظهرك، لا بخلافات منهجيَّة كما تزعمُه الآن بينَ الشَّباب!**

رابعًا: أمَّا قولُك عن المجلَّة: «رغم الأخطاء العلمية والمنهجية الكثيرة والمتكرّرة فيها، ولطالما

استنكرناها عليكم، ولم تستجيبوا، ولا، ولا، ولا...».

فأقُول: ليتَك تنبري ـ أيُّها الدُّكتور ـ وتتفَرَّغ لتُخرجَ لنا هذِه الأخطاء العلميَّة والمنهجيَّة الكثيرَة والمتكرِّرة!! والَّتي طالما استَنكرْتَها علينَا ولم نستَجب لكَ!!

هذا منَ التَّهويل والتَّهييج الَّذي ركبتَه في هذه الفتنَة، مِن تعظيم الحقيرِ، وتحقير العَظيم، وقد كرَّرتَ هذَا الكلام في أجوبتك الواتسابيَّة، ولم تُورد معَه سِوى صوَرًا فوتُوغرافيَّة لمنارات مساجد أو قباب أو شِراع باخرة، أو هوائي لالتقاط الأقمار الصِّناعيَّة، ونحوِها.

وأنا لا أظنُّ أنَّ هذه الصُّوَر هي المقصُودَة بقَولكَ «الأخطاء العلميَّة والمنهجيَّة الكثيرة والمتكرِّرة»؛ لأنَّه إذا اعتقَدْت هذَا فيعني أنَّ حاسَّة النَّقد عندَك ليسَت على ما يُرام؛ لأنَّ إلحاقَ هذه الصُّوَر بالمقالاتِ لا يزيد عَن كونه شكليٌّ ومفهومٌ أمرُها عند القَارئ، فلا أتصوَّر أحدًا ممَّن يقرأُ المجلَّة في مقَال حولَ القبوريَّة ـ مثلا ـ ويوضَع بجنبه صُورةٌ لضَريح أو قُبَّة فيلتَبسُ عليه الأمر أو يُفتَن بها أو يفهَمُ شيئًا غير الَّذي قُصد منَ المقَال.

ومع هذَا نأمَلُ أن تُبيِّن لنا هذه الأخطاء العلميَّة والمنهجيَّة الكثيرة والمتكرِّرة !!، لنصحِّحَها ونعتَذر لقرَّائنا الكرام، ونكونَ لكَ منَ الشَّاكرين؛ وإلَّا سيصدُقُ فيكَ المثَل القائل: «**نسمَعُ جعْجَعَةً ولا نرى طحينًا**»، وقَد كانَ الأوْلى بكَ أن تفعَل ذلكَ يومَ كنتَ تكتُبُ معنَا في المجلَّة كما يُمليه واجبُ الدِّيانة!

قال: «إنّ أقوالكم، وأفعالكم، وتصرّفاتكم، ومجالسكم، وتزكياتكم، وصوتياتكم، هي من شهدت عليكم؛ حتى باتت لا تخفى للعيان؛ وإلا هل يمكن أن تفسّر لي سبب إعراض أكثر السلفيين عنكم بعد هذا الخلاف، ونفضوا أيديهم منكم حتى خلت مجالسكم؟! وذلك لما رأوه منكم، وعلموه، وشاهدوه؛ من مصاحبة المخالفين، وتزكيتكم لهم، والدفاع عنهم، والاجتماع بهم على موائد الذبائح ووو؛ فهم من اتّخذوا موقفًا منكم، ورأوا أعمالكم تكذّب أقوالكم؛ أمّا نحن فإلى حدّ الساعة لم نطعن فيكم طعنًا صريحا، بل إذا سئلنا عن حضور مجالسكم فغالبا ما نلتزم الصمت؛ خلافا لما تزعمه كذبا وزورًا».

أوَّلا: اعلم يا دكتور ـ أصلحَك الله ـ أنَّ الإجمال لا يصلُح في مثل هذا المقام، ولابدَّ من ذكر التَّفصيل، فأنتَ مُطالبٌ بذكر هذه الأقوال والأفعال والتَّصرُّفات وغيرها، منسُوبةً إلى أصحابِها، مع

إثبات صحَّة نسبتِها إلى كلِّ واحد، ليُنظَر في كلِّ ذلكَ هل هُو مؤثِّر في عدالة مَن تطعنُ فيهم، أم هي مجرَّد دعاوَى تحتَاج إلى بيِّنات وبراهين.

وكان الأوْلى بكَ لو كنتَ سالكًا سبيلَ أهل العلم والجادَّة، لكتبتَ كتابات باسمكَ مفصَّلةً فيها حجَجٌ ودلائلُ على دعاويك منقولةً من مقَالات وكُتُب وخُطَب ومحاضَرات مَن طعنتَ في منهجِهم وحذَّرتَ منهُم، كما هي طريقَةُ علمائنا في الرَّدِّ على المخالِف، لكن لم يحصُل شيءٌ مِن ذلكَ، ومنَ المضحكَات المبكيَات أنَّ أحدَهُم طلَب مِن (أزهَر) على حسَابه في تويتر قائلا:

«**نطلبُ أمرًا واحدًا ووحيدًا شيخَنا الكريم؛ ما هي المسائل المنهجية التي خالف فيها المشايخ؟ وما الأدلَّة على أنَّهم خالفُوا فيها؟... فعندما تظهر وتوضح وتبين ولا يستجيب البعض، فهناك يسمون بالصعافقة والمخذلين والمميعين ووووو**».

فأجابه (أزهَر) قائلا: «**سأبيِّنُها ـ إن شاء الله ـ بعد مناصحتِنا لهم، نسأل الله أن يصلِحَنا جميعا**».

أي على طريقَة اعتقِدْ ثمَّ استَدِل؛ يعني تقومُ كلُّ هذه الحملة لإسقاطِ خيرةِ مشايخ السَّلفيِّين في الجزائر والأدلَّةُ لم تُبيَّن بعدُ، وأنَّها ستَأتي نسيئةً !! إنَّه العَبثُ العِلمي والمنهَجي يا جمعَة؛ فاتَّقوا اللهَ في الدَّعوة السَّلفيَّة..!!

ثانيا: من آثار هذَا الاضطراب العِلمي والمنهَجي ذكرُكَ لهذَا الكلام، فبدَلَ أن تسُوقَ أدلَّةً على أحكامِك الجائرة على إخوانك، رُحت تستَدلُّ بأمر ليسَ دليلا على المطلوب، ولا أمارةً على معرفة الحقِّ والصَّواب، فقُلتَ: «**وإلا هل يمكن أن تفسّر لي سبب إعراض أكثر السلفيين عنكم بعد هذا الخلاف، ونفضوا أيديهم منكم حتى خلت مجالسكم؟!...**».

نعَم لقَد نفَر كثيرٌ منَ الشَّباب من المشايخ الَّذين طعنتَ فيهم؛ لأنَّهم سمعُوا منك تجريحًا شديدًا وطعنًا صريحًا، وأشياءً فظيعةً تقدَحُ في الدِّين والعدالة، فأوْغَرتَ صدورَهم، وملأتَ قلوبَهم حنقًا وبُغضًا، وزعزعتَ ثقتَهم فيهم؛ لأنَّهم يُحسنون بكَ الظَّنَّ، ويثقُون بكَ، **ولا يتصوَّرون أنَّ مثلَكَ يقدُمُ على أمر خطير وعظيم من غير دليل ولا حجَّة**، وزادَ اغترارُهم بكَ لَمَّا زعمتَ أوَّل الأمر أنَّ الشَّيخ ربيعًا قَرأ أو قُرئت عليه أوراقُك وصحَّحها وأيَّدها؛ لكن ثِق ـ يا دكتُور ـ أنَّ غشاوَةَ هذا الاغترار لن تَدومَ ـ بإذن الله ـ طويلا، وسَتَنقَشع عن الأعيُن، وسيَنجَلي غبارُ الفتنة ويُدركُ مَن انطلتَ عليه شُبهتُك، ويعلَم أنَّ كلامَك كانَ عاريًا منَ الحجَّة والبُرهان، **وأنَّكَ خدعتَهم بتمسُّحك**

بالعُلماء، ولم تظفر في حقيقَة الأمر سوى بتأييدٍ منَ الدُّكتور محمَّد بن هادي المدخلي ـ هداهُ الله ـ الَّذي التقيتُم معَه في حَربِكم الشَّعواء على السَّلفيِّين، فناصرَكُم وكتبَ تزكيةً لكم بخطِّ يده؛ وأمَّا مَن هُم أجلُّ وأكبَر منه كالشَّيخ ربيع والشَّيخ عُبيد ـ حفظهما الله ـ فلم تُفلِح في نيْل تزكيةٍ منهما لمشروعِك الخاسِر، ولم تنجَح في مخادعتِهما.

فأنتَ إن كنتَ فرحتَ بإعراضِ أكثر السَّلفيِّين عن مشايخ الإصلاح ـ كما تزعُم ـ، ونفُورِهم مِن مجالسِهم، ألا تخشَى أن يكونُ جزاؤك أن يُعرِضَ عنكَ العُلماء الكبَار، وينفِروا منَ الجلوس معَك، ويُنفّروا من الجلوس إليكَ، فإنَّ الجزاءَ مِن جنسِ العَمل، واللهُ يُعاملُك بنَقيض قصدِك؛ فاللَّهمَّ تولَّنا برحمتِك.

ثمَّ إنَّه منَ المؤسِف جدًّا أن تُورِد عليَّ مثل هذَا الكلام، وأنتَ تعلمُ **أنَّ الحقَّ لا يعرفُ بالرِّجال ولا يُحتجُّ عليه بالكثرة**، فهَب أنَّ أكثر السَّلفيِّين ـ كما قُلتَ ـ انفضُّوا عن المشايخ الَّذين طعنتَ فيهم؛ فهل هذَا يعني أنَّنا مُبطِلون وعلى غَير الحقِّ مُقيمُون؟ وأنتَ تعلمُ أنَّ منَ الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ مَن يأتي يوم القيامَة وليسَ معه أحدٌ، أي أنَّ النَّاس كلَّهم نفَروا منه ولم يُصدِّقه أحدٌ؛ وقَد تكلَّم الإمامُ الذُّهلي قديمًا في الإمام البُخاري ورماه ببدعة اللَّفظ، فانفضَّ عنه النَّاس ولم يعُد يجلسُ إليه أحدٌ، ولم يبقَ معه في نيسابور غير تلميذِه الوفيِّ مسلم بن الحجَّاج النِّيسابوري، ثمَّ خرجَ منها وماتَ رحمه الله وحيدًا بعيدًا بضواحي بُخارى؛ فهل فهمَ أحدٌ أنَّ البُخاري مجروحٌ ومخالفٌ للحقِّ !؟ **فانتبَه ـ يا دكتُور ـ ولا تدَع الهوى يسوقُكَ إلى تضييع معايير الحقِّ الصَّحيحة.**

ثالثًا: ـ وهي ثالثة الأثافي ـ: قولك: «**أمّا نحن فإلى حدّ الساعة لم نطعن فيكم طعنًا صريحا، بل إذا سئلنا عن حضور مجالسكم فغالبا ما نلتزم الصمت؛ خلافا لما تزعمه كذبا وزورًا**».

أمَّا هذه؛ فحكايتُها تُغني عن الرَّدِّ عليها ـ كما يُقال ـ؛ وهي كذبٌ صريحٌ يشهدُ عليه كلُّ مَن حضَر جلسَاتك في حيِّك وفي غيره، ولهذا استَغربوا هذه الجملةَ منكَ أشدَّ الاستغراب، وتعجَّبوا منها أشدَّ العَجب، وكانت سببًا في توبة بعضِهم عن غفلتِهم، ورجوعِهم عن تصديق حماقاتِك؛ لكن لا أُراه إلَّا أنَّك بُليتَ بما رميتَ به غيرك ظُلمًا وبُهتانًا، حيثُ إنَّه كما سهُل عليكَ رميُ غيرك بالكذِب مرارًا، فها أنتَ تقَعُ في كذب مكشوفٍ جهارًا نهارًا، نسألُ الله السِّتر والعافية؛ طبعًا إلَّا إذا صار لكلمة «**الطَّعن**» معنًى عندك يختلف عن المُتعارَف عليه عند النَّاس؛ فهذا أمرٌ آخَر، كحكاية الطُّعون في بيان الشَّيخ عزِّ الدِّين.

فليتَك توضِّح للنَّاس معنى كلمة «طعن» في قاموسِك حتَّى يُفهَم عنكَ كلامُك ومُرادُك منهَا! فقَد علت أصواتٌ في هذه الفتنة تسمِّي كلَّ ردٍّ على فسادِك وخزعبلاتكَ أو نقدٍ لكَ أو لمن معكَ طعنًا؛ إنَّه بحقٍّ إرهابٌ فكريٌّ جديد.

قال: «ثالثا: قولك: «...فكيف يتحمّلها صاحب البيان، إلا إن قصد الشيخ جمعة مؤاخذة الشيخ البخاري ـ أيضا ـ على طعنه في السلفيين». وبيانه من وجهين:

أحدهما: أنّ الاستدلال بالنصوص والاستشهاد بها يقتضي الإقرار بها؛ وإلا ما الفائدة من ذلك؟!

الثاني: أنّ كلامك هذا يقتضي التحريش، وإيغار الصدور؛ وليس هذا من شيم طالب علم فضلًا عن داعٍ ينتسب إلى السنّة؛ بل لو كان التحريش خلقي لكنت أولى به هنا لما أعلمه عنكم».

أوَّلا: قولُك: «أنّ الاستدلال بالنصوص والاستشهاد بها يقتضي الإقرار بها؛ وإلا ما الفائدة من ذلك؟!».

نعم صحيح، وهذا يؤكِّد ما قُلتُه لكَ من أنَّك تُؤاخذ الشَّيخَ العالمَ عبدَ الله البُخاري ـ حفظه الله ـ أيضًا؛ فالشَّيخُ عزُّ الدِّين استَشهد بالكَلام على مُراد صاحبه، ووافقَه عليه وأقرَّه، وأنتَ أنكرتَه عليه وعاتبتَه، ما يعني أنَّك تُنكرُه على صاحبه الأوَّل ولا مفرَّ لكَ مِن هذَا.

ثانيا: قولك: «أن كلامك يقتضي التَّحريش، وإيغار الصُّدور...».

لم يكُن قصدي هذا أبدًا؛ بل أحببتُ أن أفهمَ ما فهمتَه أنتَ، لكنَّني عجزتُ، ولجأتُ إلى تفكيك تلكَ العبارات، وردِّ بعضِها إلى أصحابِها لأرى كيفَ ستتعامَل معَها، هل تبقَى مُصمِّمًا على كونها طعونًا في السَّلفيِّين أم أنَّك ستتَراجَع عن ذلك، وتُعلنُ عن خطئكَ وسُوءِ فهمِك؟ **وهُو ما لم تُجب عنه هُنا**، ويبقى أمرًا محيِّرًا كيفَ هجمَ عليك هذا الفَهمُ، وبنيتَ عليه موقفًا ترتَّب عليه أمورٌ عظيمة ومفاسد وخيمَةٌ!!

ثالثًا: قولك: «بل لو كان التحريش خلقي لكنت أولى به هنا لما أعلمه عنكم».

وهذه الحملةُ الَّتي شنَّعت بها على إخوانك، أليست تحريشًا بينَهم وبينَ إخوانِهم السَّلفيِّين، وكانَ مِن آثارها أن تفرَّق الأصحابُ، وتخاصَم الأحبَّة، وتشتَّت القُلوبُ، وعادى الإخوةُ بعضُهم بعضًا؛ أم أنَّ هذا لا يُعدُّ من معاني التَّحريش عندك! ولهذا مباشرةً بعد أن نفيتَ عن نفسِك خلُقَ

التَّحريش رُحتَ تحرِّش بينَنا وبين الشَّيخ عبد الله البُخاري؛ يا للعجَب!!

قولك: «**أولها: إنّنا ـ والله ـ لأشدّ احترامًا لعلمائنا، وتوقيرا لهم، وأحسن تعاملًا منك، فإنّي لم أنقطع عن زيارة المشايخ لاسيما شيخنا ووالدنا الشيخ ربيع ـ شفاه الله وعفاه ـ منذ أن وطئت قدماي بلاد الحرمين في الحج أو العمرة، وذلك أكثر من ثلاثين سنة؛ بخلاف ما أنتم عليه، الذين انقطعتم عن زيارتهم منذ مدّة، ولما وقع الخلاف تذكّرتم أن لكم مشايخ ينبغي مراجعتهم، فهرعتم إليهم؛ وهذه بشهادة الشيخ عبد الله البخاري حيث قال: إنّي لم أر الجماعة منذ أكثر من سنتين.**

أمّا في الخفاء فأمر آخر؛ فقد قال بعض منكم: «الشيخ ربيع لا أخدمه»؛ وقال آخر: «ليس كلّ جرح يأتي من الشيخ ربيع نقبله»...

أوَّلا: قُلتُ لك آنفًا: إنَّ البلاء مُوكَّلٌ بالمنطق؛ فيا مَن تدَّعي أنَّك «**أشدّ احترامًا لعلمائنا، وتوقيرا لهم، وأحسن تعاملًا منِّي**»، لماذا لم تُعلِّق على صوتيَّات الشَّيخ ربيع ـ حفظه الله ـ الأخيرة الَّتي لم تأتِ موافقةً لهواك، أو على الأقلِّ أن توجِّهُ الشَّبابَ إلى كيفيَّة التَّعامل معَها، لا أن تلجَأ إلى أجوبة مطَّاطية سياسيَّة، حيثُ لَمَّا تُسأل عن وصيَّة الشَّيخ ربيع، تُحيلُهم على وصيَّة الشَّيخ فركوس!!

ولماذا لم تتدخَّل لَمَّا سُحِبت صوتياتُه من منتدى (**التَّصفية والتَّربية**) وأنتَ نائب المشرف العام؟

إنَّ أمانةَ العلم والمنهجَ السَّلفي يفرضَان عليكَ ـ يا دكتور ـ أن تسير على خطٍّ واحدٍ؛ قال وكيع ابن الجرَّاح رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إنَّ أهلَ العلمِ يكتُبُون ما لَهُم وما عليهِم، وأهلَ الأهوَاءِ لا يكتُبُونَ إلَّا ما لَهُم**»[1].

ثانيًا: أمَّا كونُك لم تنقَطع عن زيارة الشَّيخ من ثلاثين سنةً؛ فهذَا يدلُّ على أمور:

الأوَّل: أنَّك على صلة وثيقَة بهذَا الإمام الهمام، وعلى معرفَة كبيرة بعلمِه وصدقِه وجهادِه، فلا أدري كيفَ سمحَت نفسُك، أن تقفَ هذه المرَّة من نُصحِه هذا الموقف غير المشرِّف!!

والثَّاني: أنتَ تعلمُ أنَّ العبرةَ ليسَت بكثرة زيارةِ العالم، أو رؤيتِه والقُرب منهُ، وإنَّما العبرةُ في الانتفاع بعِلم العالم وسُلوكِ منهجِه ولزُوم أدبه، وعندَك نماذج كثيرة في القَديم والحديث من أناسٍ جالسوا العُلماء طويلًا ولم ينتَفعوا بهم؛ وبعضُهم يتمسَّح بالعُلماء لتَمرير أهوائه، فإنَّ رؤوسَ المعتَزلة كانُوا مِن جُلسَاء الحسَن البَصري رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأزيدُكَ فائدةً لَمَّا لقيَ أبو عُبَيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ اللَّهُ الإمامَ أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، قال لهُ: «**يا أبا عَبْد الله !**

---

(١) «ذم الكلام وأهله» للهروي برقم (٣٤٦).

لو كنتُ آتيكَ عَلَى حقِّ ما تستَحقُّ لأتيتُكَ كلَّ يوم؛ فقَال ـ أي الإمامُ أحمد ـ: لا تقُل ذاكَ؛ فإنَّ لي إخوانًا ما ألقَاهُم في كلِّ سنة إلَّا مرَّةً أنا أوثَقُ في مودَّتِهم ممَّن ألقَى كلَّ يوم»[1].

والثَّالث: إنَّ العُلماء الَّذين تزورُهم مِن ثلاثين سنةً لم يُجابوك، ولم يُجاملوك؛ حيثُ لَمَّا علمُوا حقيقةَ الخلاف الواقع وفهمُوا ملابساتِه، أدركُوا أنَّك لستَ محقًّا في حملتِك الجائرةِ على إخوانكَ، وأنَّك مُبطِلٌ ولا دليلَ على باطلكَ، جاء جوابُهم صريحًا ونُصحُهم واضحًا على مقتَضى العِلم والشَّرع والإنصافِ، لا على ما يُمليه الجهل والهوى والاعتسافُ؛ وهذا ما يزيدُ المرءَ وثُوقًا بعلمِهم وورعِهم وأمانتِهم؛ فافهَم هذَا يا جمعَة!!

ثالثًا: قولك: «**بخلاف ما أنتم عليه، الذين انقطعتم عن زيارتهم منذ مدّة، ولما وقع الخلاف تذكّرتم أن لكم مشايخ ينبغي مراجعتهم، فهرعتم إليهم..**».

أولا: أجزم أنَّ هذَا منَ الكذب الصَّريح؛ ويكفي أن أُخبرَك أنَّه في رمضان الفائت (١٤٣٨) **زُرتُ الشَّيخَ ربيعًا، والشَّيخَ عبد المحسن العبَّاد** ـ حفظهما الله ـ، وكُنتُ برفقَة الشَّيخَيْن: **رضا بوشامة، ونجيب جلواح**.

ثانيا: إنَّ هذا الإنكارَ علينا في مراجعَة مشايخ العلم والفَزع إليهم عند طُروء الخلافِ ونزولِ الملمَّات دليلٌ على أنَّ في منهجِك خللٌ كبيرٌ ـ يا دكتُور ـ، إذ منَ المستَهْجَن أن تَعيبَ علينا رجوعَنا إلى أهل العِلم المعروفين بسلامَة المنهج وصحَّة المعتقَد، واللهُ ـ جل وعلا ـ يقُول: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النِّسَاء: ٨٣]، ويقول الله أيضًا: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ].

وعليه؛ فهذه زلَّةٌ منكَ عظيمةٌ، وسقطةٌ فظيعةٌ، تشبَّهتَ فيها بالحركيِّين، وقَد تبعَك على تعْييرنا بها بعضُ الأغمار ممَّن يكتُب في (التَّصفية والتَّربية)؛ فإيَّاك أن تكونَ قد فتحتَ بابَ شرٍّ، وسننتَ سنَّةً سيئةً قد يلحقُك وبالُها أبدَ الدَّهر؛ لأنَّها مقولةٌ تهدمُ المنهجَ السَّلفيَّ بالكليَّة.

*** إيراد**: قَد يورد علينَا بعضُهم إيرادًا فيقُول: **ها هُو الشَّيخ فركوس بين ظهرانيكم، فلمَ لم تُراجعُوه أو لم ترجعوا إليه؟**

وجوابُ ذلكَ: أنَّ الشَّيخ فركوسًا قَد رفض أن يجتَمع بنا بعد استقالتِه!، وقَد راسلناه منذُ أكثر

---

(١) «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٥٩).

مِن شهرَيْن بخطاب مؤرَّخ بيوم الخميس ١١/ ٤/ ١٤٣٩ الموافق لـ٢٨/ ١٢/ ٢٠١٧؛ لأجلِ عقْدِ اجتماع فلم يُجبنَا، لا سلبًا ولا إيجابًا؛ ثمَّ إنَّ الشَّيخ وقفَ ـ وللأسف ـ موقفَ المؤيِّد لحملة الدُّكتور جمعَة ووافق على شرطِه للاجتماع، وهُو: **ألَّا نجتمعَ بكم إن طمعتُم في الاجتماع حتَّى تعتَرفوا بما نُسبَ إليكم من تُهم وتتبرَّؤوا منها وتكتُبوا بيانًا في ذلكَ**؛ ثمَّ مع ذلكَ يقولُ الشَّيخ فركوس في بعض مجالسِه: «**حتَّى وإن كتَبوا فيكتُبون مراوغةً**»!؛ وفي صوتيَّة (أزهَر) الأخيرة نقل عن الشَّيخ فركوس ـ ما لم يستَأذنه في إخراجِه ـ وهُو التَّشكيكُ في صدقِ نياتنا في الصُّلح؛ والله المستَعان.

ثمَّ علمنَا يقينًا أنَّها وصيَّةُ الدُّكتور محمَّد بن هادي! للشَّيخ فركوس ومَن معه ألَّا يجلسُوا مع إخوانهم أبدًا.

ثالثًا: جاء في بعض أجوبتكَ الواتسابيَّة قولكَ: «**الَّذين ذهبُوا إلى العُمرة ورجعُوا بخُفَّي حُنين عز الدين وعبد الخالق وتوفيق**»، فإن كنَّا نحنُ رجعنا بخفَّي حُنين وقد يسَّر اللهُ لنا أداء مناسِك العُمرة، وشرَّفنا بلقَاء العُلماء واستفدْنَا من علمِهم ونُصحِهم؛ **فبماذا رجعتَ أنتَ يا دكتور!؟ وبماذا رجَع صاحبُك!؟**

قولك: «**أمّا في الخفاء فأمر آخر؛ فقد قال بعض منكم: «الشيخ ربيع لا أخدمه»**[1]؛ **وقال آخر: «ليس كلّ جرح يأتي من الشيخ ربيع نقبله»**».

أنا لا أدري مَن تقصد بكلامِك هذَا؛ **لكن أرى أنَّ لك نصيبًا وافرًا من هذا الكلام، إمَّا بلسان قالكَ أو بلسان حالكَ**، فمَن نقلتَ عنه أنَّه يقول: «**ليس كلُّ جرح ..**»، فأنتَ مثلُه لا تختلفُ عنه؛ لأنَّك تقُول: «**ليسَ كلُّ تعديل يأتي منَ الشَّيخ ربيع نقبلُه**»؛ وإلَّا كيفَ تُفسِّر موقفَك هذه الأيَّام مِن تعديل الشَّيخ ربيع ـ حفظه الله ـ **للأخوين الفاضِلَين خالد حمودة ومحمد مرابط، وما ذكره الشَّيخ من خير وثناء عن مدرستِهما**؛ فإنَّك رددتَه ولم تقبَلْه، ولم تُبد ولو شيئًا يسيرًا منَ اللَّيونة أو التَّردُّد والتَّراجُع؛ بل تماديتَ في الإصرَار على الطَّعن والتَّجريح اللَّاذع لهما، **فأينَ هو الاحترامُ الَّذي تُكنُّه لهذا الإمام!؟**

وأينَ أنتَ مِن مُعاتبَتِك لهذا الَّذي يقُول: «**الشيخ ربيع لا أخدمه**»؟! فأنتَ مثلُه، وعليكَ أن تُنزِّل هذه المعاتبةَ على نفسِك؛ **وإلَّا لو كنتَ «تخدمُ الشَّيخ ربيعًا» بحقٍّ وصدقٍ، لوقفتَ مُعلنًا**

(١) أوردها بهذه الصيغة والمقصود منها على لهجتنا العامية «الشيخ ربيع ما نخدموش» أي لا أبالي به أو نحو هذا المعنى.

تراجُعَك عن تجريحِك لإخوانِك، وقدَّمتَ تعديلَه؛ لأنَّه أكبَر وأجلُّ منكَ وأعلمُ وأعرفُ بأسباب الجَرح وأسبَاب التَّعديل، ولا يخفَى على مثلِه معنى الجرح المفسَّر المقدَّم على التَّعديل، فراجع حسَاباتِك ـ يا هذَا ـ ولا تغلبنَّك حزازاتُ النَّفس الأمَّارة بالسُّوء، فإنَّها ستُرديك بعيدًا.

ثمَّ يقول: «وهلا تجاوبت مع كلامهم لمّا دعوكم إلى الرجوع عن أخطائكم؟!».

أقولُ: فأرنا أنتَ من نفسِك هذا، وكُن لنا مثالا يُحتذَى في التَّجاوب مع كلام العُلماء؛ وارجِع عن خطئِك الفادح، وغلطِك الفاضِح، وقَد وجَّه العُلماءُ النَّصحَ لكَ خاصَّةً يدعونَك فيها إلى الكفِّ عن حملتِك الشَّنيعَة، وألَّا تطعنَ في إخوانكَ إلَّا بالدَّليل الصَّحيح السَّاطع؛ فلم تُعِر اهتمامًا لكلامهم ولم تتجاوب معَه؛ ثمَّ تطلبُ من غيرك أن يتجاوبَ معهم؛ وقد يصدُقُ فيكَ قول مَن قال:

لا تنهَ عن خُلُـق وتأتي مثلَـه ... عارٌ عليكَ إذَا فعلتَ عظيمُ

ابدَأ بنفسِك فانْهَها عن غيِّها ... فإذَا انتَهت عنهُ فأنتَ حكيمُ

ثمَّ تقول أيضًا: «وهلا تعاملت مع كلامهم، وعرفت قدرهم، لمّا طُعِنُوا في أعراضهم أمامكم بأقبح الألفاظ، ولم تدافعوا عنهم؟!».

وما أدراكَ أنَّنا لم نُدافع؛ فإنَّك لم تكن حاضرًا ولا شاهدًا، ولكنَّكَ ألِفْتَ الطَّعنَ في إخوانكَ ولو بالظَّنِّ والتَّخرُّص، والكَذب والافتراء..؛ أينَ تقواك ـ يا دكتور ـ!؟ وأينَ أنتَ من قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ].

وأينَ دفاعُك أنتَ عنهم، وقد بلغَك كلامُ مَن معك الَّذي حمل طعونًا شديدةً ومتنوِّعةً فيهم، وأخبرنَا ماذا فعلتَ أنتَ أو مَن معكَ حينَ سمعتُم مَن يقُول في جلسة من جلساتكم الخاصَّة والمغلقَة ـ على لُغتك ـ: أنَّه لابدَّ أن نتهيَّأ لأسوإ الاحتمالات، وأسوأُها أن يتكلَّم فينَا الشَّيخ ربيع أو الشَّيخ عُبيد ليُسقطونا، فقَال أحدُكم: «**لو يقعُ هذا منَ الشَّيخ ربيع سيُسقِطُ نفسَهُ وتذهبُ مصداقيتُه في الجزائر**»؟

فأُعيد عليكَ كلامَك الَّذي وجَّهتَه إلينَا: «فكيف طابت أنفسكم، وسمحت ديانتكم، ورضيتم لأن تبقوا، وتكملوا معه الجلسة؟! ألَا كان الأجدر بكم أن تقفوا وقفة واحدة فتطردوه من مجلسكم، وتفضحوه عَلَنًا، ببيان أو نحوه..»؛ فآمُل أن تتشجَّع وتُجيبَني عن هذه!!

ثمَّ قال عن دعوتي له لإعادة سماع صوتيَّات العُلماء: «أقول: قد سمعناها، وإنَّنا لنقدر جهود

الشيخين الجليلين: الشيخ ربيع والشيخ عبيد في الحرص على الائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف».

هُنا وقَع امتحانُك في سلفيَّتك، وفي أصلٍ كثيرًا ما ردَّدتَه أنتَ وصاحبك (**أزهَر**) وهو «**أنَّ البركة مع الأكابر**»، لكن يبدُو أنَّ هذا الأصلَ تحوَّل عندكَ في هذه الفتنَة إلى مجرَّد أصل لفظيٍّ، لا يتبعهُ تطبيقٌ عمليٌّ، ومعنى كلامِك أنَّنا سمعنا كلامَ الشَّيخَين، وإنَّنا نُقدِّر جهودَهما في الحرص على الائتلاف ..، ونحنُ شاكرونَ لهُما حرصهُما على الخَير؛ لكن آسفُون على عَدم الاستجابة لنِدائهما، فنحنُ أدرَى بما يصلُحُ للسَّاحة الدَّعويَّة عندَنا، وأعلمُ بمَن يدعونَنا للاجتماع بهم، وأنَّه لا يليقُ بهم سِوى (**التَّهميش**)[1].

ألا ترى أنَّك بهذَا الأسلوب تَجني على أصولٍ سلفيَّة كُنتَ تدعُو إليهَا وتحثُّ الشَّبابَ عليها، مِن وجُوب لزوم غرْز العُلماء واتِّهام رأينا أمام آرائِهم؛ **أم أنَّك اغتررتَ اليومَ بمُساندَة الشَّيخ فركوس! لكَ في الدَّاخل، وتأييد الدُّكتور محمَّد بن هادي! لك منَ الخارج، وتزكيته لكَ وتنصيبك صوتًا له في الجزائر لتفريق السَّلفيين وتشتيتهم**؛ فظننتَ نفسَك أنَّه اشتدَّ ساعدُك ويمكنُك الرِّماية، وأنَّك أهلٌ لأن تُناطح هؤلاء الجبَال ـ (**ربيعًا وعبيدًا**) ـ، وتُبارزَ هؤلاء الأعلام، ولو لم يكُن مِن سلاحِك سِوى الظُّنون والأوهام.

ثمَّ إنِّي أراكَ اكتفيتَ بهذَا السَّطر ونصف السَّطر للتَّنصُّل مِن هذه المسألة العَظيمة، وتظنُّ أنَّك قَد أجبتَ عنِّي وبرئَت ذمَّتُك، وما ذلكَ إلَّا لأنَّك لم تجد ما تقولُه، وانتقلتَ منه إلى كلام آخَر لا صلةَ له بما نحنُ فيه هُنا، كأنَّه ذرٌّ للرَّماد في الأعيُن، وتقُول: «**ثمّ إنّي أراني أتعجّب من دعوتك للإصلاح، وتضرب على أوتار المشاعر، ومقالك قد حشوته بالكذب والطعون، والغمز واللمز، والاتّهام والتحريش، والتأليب، وإثارة المشاعر**».

ليتَك تجعَل قائمةً تبيِّنُ فيها أينَ هي هذه الأشياء في مقَالي؛ لأنَّ ما ذكرتَه قد يكونُ على المعنى الَّذي تقصدُه أنتَ ولا يُشاركُك فيه غيرُك؛ ذلكَ لأنَّ غالبَ مَن قرَأ مقَالي لم يجد كلَّ هذه الآفات الَّتي عثرتَ عليها أنتَ!!

ثمَّ قال: «**ناهيك عن سكوتكم بل تواطئكم، وتزكيتكم، وإقراركم لهؤلاء الأغمار،...**».

إنَّ هؤلاء الشَّباب أنتَ نفسُكَ كنتَ تُزكِّيهم، وترفعُ من شأنهم، ثمَّ تحوَّلتَ إلى الطَّعن فيهم؛

---

(١) وهو مصطلح (محدَثٌ) أفرزته هذه الفتنة، لم نجد مَن استعمَله منَ العلماء من قبل، ومثله مصطلح (الصَّعافقة).

لرفضِهم ركوبَ حملتِك، والانصياعَ لأوامِرك؛ لأنَّهم لم يجدُوا عندَك أدلَّةً ولا حجَجًا مقنعةً على ما ادَّعيتَه، فلم يتحمَّلوا السُّكوتَ على الظُّلم الظَّاهر في مشروع الإسقَاط الَّذي عزمتَ على تنفيذِه؛ وهُم في ذلكَ ممتثلون لما يُمليه عليهم واجبُ العلم والنَّصيحَة؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [سُورَةُ النَّمْلِ]، فلم يعينوكَ على باطلك العَاري من الدَّليل، ونصَروا المظلُومَ، وأرادُوا أن يحولوا بينَك وبينَ الظُّلم؛ قال ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فإن كانَ أستاذُ أحدٍ مظلومًا نصَرَه، وإن كانَ ظالما لم يُعاونْهُ على الظُّلم؛ بل يمنَعُه منهُ**»(١).

وعلى فَرْض أنَّهُم أخطَأوا في شيءٍ، فلا يعدو أن يكونَ خطؤُهم كخَطإ غيرِهم، ولا يستَحقُّون كلَّ هذَا الإجهاز عليهم، فهُم من خيَار طلبَة العِلم على السَّلفيَّة سائرُون، وبلزومهم لغَرْز العُلماء معروفُون، وأمَّا ما تُوهِمُ به النَّاسَ مِن أنَّهم طعَّانون في الشَّيخ فركوس فهيَ شنشنةٌ نعرفُها مِن أخزَم ـ كما يُقال ـ؛ تُحاول بها التَّحريش وإغارةَ الصُّدور والإصرار على إلصاقِ التُّهَم الباطلة بهم؛ ثمَّ إنَّ الشَّيخ ربيعًا ذكَرهُم بخَير وأثنَى عليهم، فلا يغلبنَّك التَّهويلُ والتَّشغيبُ، والْزَم العلمَ والعدلَ في أقوالك وأحكامكَ تنجَح وتُفلح.

ولمَ لمْ تلتَزم أنتَ هذه الوصيَّةَ وتكُفَّ عن طعُونِك واستخفافِك، واستباحة أعراضِ مشايخ الإصلاح، وتوصي بذلكَ أتباعَكَ المتأثِّرين بحملتِكَ؟! أم أنَّ أعراضَ هؤلاء المشايخ مباحَةٌ غيرُ مصُونَة ولا محفوظَة!! فدَع عنكَ هذه المراوغة والتَّمسُّح بالشَّيخ فركوس! والتَّعلُّق به؛ لأنَّك كنتَ في يوم منَ الأيَّام تفعَل مثلَ ذلكَ مع عُلماء السَّلفيَّة الكبَار، وتقُول في حقِّهم كلامًا جميلا، لكنَّك لم تثبُت عليه اليومَ عمليًّا ورُحتَ تنقضُه نقضًا؛ فقَد سبقَ (في سنة ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م) أن كُنتَ تُسمِّي الشَّيخ عُبيدًا الجابري «**شيخ السُّنَّة وإمام الجَرح والتَّعديل**»، وقُلتَ عنه يومَها في ردِّك على عبد الحميد العَربي: «**والشَّيخُ عبيد ـ حفظه الله ـ بصيرٌ بأحوال النَّاس، ينطقُ بالحكمَة، وينظُر بالفراسَة، ويحكُم بالعَدل، وقَد شهدَ له (العربي المتَّهم) بأنَّه حكيمُ الدَّعوة؛ ولهذَا قلَّما تُخطئُ سهامُه كبدَ المنحَرفين، ومَن تكلَّم فيه فتَربَّص حالَه بعدَ حِين، ستكشِفُ لكَ الأيَّامُ ـ ولو بعدَ أعوام ـ: هل الشَّيخ عُبَيد يتكلَّم على علم وبصيرةٍ أم يتكَلَّم بالهوى ـ وحاشاه ـ؟**».

وأنا أقُول: وهل يا دكتور جمعَة لا زالتَ ثابتًا على هذَا الوصفِ للشَّيخ عُبيد أم أنَّه كلامٌ

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٦).

انتهَت صلاحيتُه؟...

ثمَّ الأغربُ مِن هذَا كلِّه، وهُو ما يدعُ الحليمَ حيرانًا أنَّك تنسبُ إلينا البدءَ بالطَّعن، وتقُول: «ثم أنت تتكلّم عن الطعون؛ فمن بدأ أوّل مرّة؟! والبادئ أظلم...».

هذا من عجائبكَ وغرائِبك؛ ويصحُّ فيكَ المثل القائل: «**رمتْني بدَائِها وانسلَّت**»؛ فمنذُ شُهور وأنتَ لم تترك لبَعض إخوانِك عرضًا إلَّا دنَّستَه، ولا أمانةً إلَّا خوَّنتَه فيها، ولا علمًا إلَّا قدحتَ فيه، وشكَّكتَ في نياتِهم وقصودهم، وسوَّدت صورتَهم في أعيُن الشَّباب، وأوغرتَ صدورَهم عليهم، وسعيتَ للتَّنفير منهُم بكلِّ مُتاح، ثمَّ بعد هذَا كلِّه تقُول: «**لم نتكلَّم إلا ما اقتضته الضرورة**»؛ فلا أدري إن كنتَ تتصوَّر ما تقُول، وتعي ما يخرجُ من رأسِك؛ أم إنَّ هذا الكَلام اقتضَتهُ ضَرورةُ الرَّدِّ، ولدَدُ الخصُومة!؟

ثمَّ لم تقف عند هذَا الحدِّ؛ بل رُحتَ توردُ غريبةً أخرى من غَرائبكَ الَّتي تُموِّه بها على ضِعاف العُقول، فقلتَ لي: «ولو كنت تريد الصلح حقيقة، وحرصت عليه، فقد كنت بالمدينة يوم أتيتَ أنت وصاحباك، وكانت فرصة سانحة لنجتمع كلّنا عند المشايخ، لا سيما وكنت قد أرسلت يومئذ إلى الشيخ محمد، والشيخ عبد الله البخاري رسالة أنّي لا زلت موجودًا بالمدينة، لو أرادوا الجلوس؛ وكان هذا بثلاثة أيام قبل رجوعي إلى الجزائر؛ وهذه الرسالة ـ أخي توفيق ـ قد وصلتك أيضا يومئذ من طرف أحد الإخوة عبر «الواتساب»، لكن لم تولوا له الاهتمام؛ وبعد رجوعك من العمرة زعمت أنّ الرسالة كانت بعد رجوعي أنا من المدينة؛ وهذا كذب، وتاريخ اليوم مثبت على جهاز هاتف الأخ المراسل، وشاهد على ما أقول».

أوَّلا: لو أنتَ كنتَ تريد الصُّلحَ والاجتماعَ، لأعلمتَنا بذهابك لنلحقَ بك، وتضربَ لنا موعدًا أين شئتَ، ومتَى شئتَ؛ لكن لم يحصُل شيءٌ من ذلكَ.

كيف وأنتَ ترفضُ الاجتماعَ بنا هنا في مكان اجتماعتِنا المعتادَة، حيثُ يكونُ اللِّقاء أيسَر وأسهل، لكنَّها المغالطة والمراوغَة والتَّلبيس!!

ثانيًا: أنَّك هرعتَ إلى المدينة بحثًا عن التَّأييد من أهل العِلم هنَاك لحملتِك الشَّرسَة على إخوانِك، وتجييشًا لطَلبة العلم على مشَايخ الإصلاح.

ثالثًا: أمَّا الرِّسالة الَّتي وصلتَني مِن أحدِهم برقم لا أعرفُه، وهي صورةٌ مأخوذةٌ مِن هاتف

آخَر وهي منتشرةٌ في وسائل التَّواصل، فيها ما يلي: «**لو كانوا صادقين، وأرادوا الصُّلح حسب تسمية مجمعهم فهذه فرصة وجودي في المدينة، ونتفق جميعًا ونذهب إلى المشايخ سويا، ونتناقش عن المآخذ ويحكم بيننا المشايخ، لكنهم يتهربون، ويتحرون متى ذهابي**».

فهذه مصوَّرةٌ عن رسالة نصِّيَّة مُرسلَةٌ من الدُّكتور جمعة إلى أحدهم في الواتساب، والخطابُ فيها ليسَ موجَّهًا إليَّ أصلًا؛ فهَل يفهَمُ العاقلُ إذا قرأها أنَّها دعوةٌ للاجتماع، فإنَّه لو كان صادقًا غير كاذب في دعواه لأرسَل إليَّ رسالةً من هاتفِه كما جرَت العادَة، وحصَل المقصُود، لكنَّه لم يكُن على استعدادٍ للقائنا، وأقُول هذَا لأمريْن:

الأمر الأوَّل: أنَّه شهدَ أحدُهم ممَّن كانَ جالسًا معَه مرَّةً في المسجد النَّبوي، قال: وعند رؤيتِه لنَا (أنا والشَّيخَين: عز الدين وعبد الخالق) ونحنُ في رواقٍ من أروقَة المسجد طلبَ من جُلسائه القيامَ، وتغييرَ المكَان حتَّى لا نَراه.

والأمر الثَّاني: أنَّ الأخ الطَّالب الَّذي كان متَّفقًا معَه على أن يوصِلنا بسيَّارته إلى بعضِ المشايخ اعتذَر لنا عن عدَم قُدرتِه على تلبية رغبتِنا؛ **لأنَّ جمعة ـ أصلحَه الله ـ أرسَل إليه مَن يُهدِّده بأنَّك لو أوصلتَهم إلى المشايخ لأحذِّرنَّ منك، والله المستَعان!!**

فهل يا تُرى مَن كان عندَه رغبةٌ في اللِّقاء يفعَل مثل هذه الأفاعيل؛ ويتصرَّفُ بمثل هذه التَّصرُّفات المشينَة الَّتي لا تمتُّ بصلة إلى السَّلفيَّة البتَّةَ، ولا يرتضيها الشُّرفاء منَ النَّاس؛ لكنَّ الدُّكتور ـ هداه الله ـ غارقٌ في فتنة أنسَتْه أبجديات التَّعامُل والأخلاق.

وهذا دونَ أن أحدِّثكُم عن التَّرهيب الحاصِل بين طُلَّاب العلم في المدينة النَّبويَّة بسَبب الحملَة الشَّرسة الَّتي نقلَها الدُّكتور إلى هُناك، حتَّى إنَّه يخيَّلُ إليكَ أنَّ أيَّام فتنة فالح الحربي قَد رجعَت، نسألُ الله السَّلامة.

أمَّا عن قوله: «**لكن لم تولوا له الاهتمام؛ وبعد رجوعك من العمرة زعمت أنّ الرسالة كانت بعد رجوعي أنا من المدينة؛ وهذا كذب**».

أقول: كيفَ نولي الاهتمام لرسالة لم تأتنا منَ المعنيِّ بالأمر، ولا ممَّن نعرفُه، ولا هيَ موجَّهةٌ إلينا أصلا بل هي رسالةٌ منقولةٌ صورتُها؛ فعدَدْناها مِن جُملة الرَّسائل الواتسابية الكَثيرة الَّتي تميَّزتَ بها في هذه الفتنَة، وعُرفَ بها جُمعة، حتَّى صارت محلَّ تندُّرٍ عند بعض الإخوة لكثرتِها، والَّتي غالبًا ما يُتبعُ

أجوبتَه هذه بقَوله: «**انشُر... لا مانع**».

ثمَّ أنا لم أزعُم أنَّها بعد رجوعك أبدًا، وإنَّما اطَّلعتُ على الرِّسالة في «الواتساب» صبيحة يوم الأربعاء ١٨/ ٠٣/ ١٤٣٩ الموافق لـ ٦/ ١٢/ ٢٠١٧، في حدود السَّاعة الحادية عشر، وقد نُمي إلينَا أنَّ سفرَك كان ذلك اليوم بعد صلاة الظُّهر؛ والله أعلَم.

ثمَّ إنِّي أقولُ جازمًا: إنَّ هذا الكلامَ منكَ هُو للاستهلاك العامِّ فقَط؛ وإلَّا فأنتَ مبيِّتٌ في نفسِك أنَّك لن تجلسَ معنا، ولا رغبةَ لكَ في ذلكَ البتَّةَ، كما تقولُه ويقولُه صاحبُك (أزهر) في مجالسكما الخاصَّة والمغلَقة؛ كيفَ وقد أملاهُ عليكُم الدُّكتور محمَّد بن هادي وأكَّده عليكم وأوصاكُم به، لكنَّكما تُظهران نفسَيْكما أنَّكما مِن دُعاة الصُّلح والحريصِين على الاجتمَاع؛ وإلَّا مَن كانَت رغبتُه صادقَةً في الاجتماع لا يضعُ في طريقِه العَوائق؛ ويُعلِّقُ تحقُّقَه على شَرط الاعترافِ بالتُّهم المنسُوبة وكتابة تبرُّؤ منهَا؛ لهذا قُلتَ: «**وقد قلنا: إنّ هذا الائتلاف لا يمكن تحقيقه دون معالجة الأسباب التي أدّت إلى الفرقة؛ ولهذا لم نطلب منكم أن تنقلوا جبلًا من الجبال عن موضعه فكان أخفّ عليكم ممّا طلبناكم به**».

لينظُر العاقل إلى هذه اللُّغة الاستعلائيَّة الَّتي يُخاطبُ بها إخوانَه المشايخ الَّذين شابت رؤوسُهم ولحاهُم ولم يُعرَف عنهم سوى الدَّعوة إلى التَّوحيد والسُّنَّة ومنهج السَّلف الصَّالح، ويستَخفُّ بالعُقول زاعمًا أنَّه لم يطلُبْ منهم نقلَ جبلٍ وأنَّ طلبَه خفيفٌ؛ فأيُّ عقل هذا الَّذي تحمِلُه يا دكتُور!! وتقُول: «**ماذا عليكم لو كتبتم بيانًا تتراجعون فيه عمّا أُخذَ عليكم، فيرفع الله قدركم، برجوعكم إلى الحقّ**».

يعني أنَّك تُريد منَ الأبرياء الفُضَلاء والدُّعاة الشُّرفاء أن يعتَرفوا بالتُّهَم الباطلة المُلصَقة بهم، ثمَّ أن يكتُبوا بيانًا يتراجعُون فيه عمَّا نُسب إليهم زورًا وبُهتانًا؛ والله إنِّي لأعجَبُ أشدَّ العجَب ممَّا آلَ إليه أمرُكَ يا دكتور ـ هدَاك الله ـ، وإنِّي أتساءلُ كيفَ لأحدٍ مثلك ينتَسبُ إلى العِلم والسَّلفيَّة وعلى صِلة بعُلمائنا الكبَار مِن ثلاثين سنةً ثمَّ تنطقُ بمثل هذَا الهُراء وتتصوَّرُه، فهيِّنٌ عندَك أن يكتُبَ المرءُ رجُوعًا وتوبةً عمَّا لم يرتكبْهُ واتُّهم به بالباطِل؛ إنَّ حملَ الجبال والأثقَال أيسَر على النُّفوس الأبيَّة مِن أن يُطالَبَ البريءُ بإدانَة نفسِه؛ لكنَّ غشاوات الفتنَة حالَت دونَ العُقول.

ثمَّ لماذا هذَا الإصرار على ربط الاجتماع بشَرط أو شُروط مُسبقَة ومجمَلَة غير مفصَّلة؛ مع أنَّ

الإجمالَ لا يصلُح في مثل هذه المقَام، لكن على ما يظهَر إنَّ إخوانَنا يضَعُون هذه الشُّروط التَّعجيزيَّة فرارًا منَ اللِّقاء والمواجهَة وهُروبًا إلى الأمَام، ومحاولةً لفَرض سياسَة الأمر الواقع، وإعراضًا عن وصَايا العُلماء الأكابر ونصَائحِهم، ظنًّا منهم أنَّ الزَّمَن كفيلٌ بأن يُعفِيَ أثَرَ تلك الوصايا ويُزيلَ مفعولَها، وهذا مسلكٌ بدعيٌّ غيرُ مرضيٍّ.

ثمَّ ذكَر ما يُطالَب به إخوانَه؛ فقالَ: «كلّ ما في الأمر أنّا طلبنا منكم» وكأنَّه أمرٌ حقيرٌ ويسيرٌ، وسهلٌ جدًّا؛ وهو في الحقيقَة سبعُ تُهم خطيرةٍ، كلُّ واحدةٍ منها كفيلةٌ أن تُردي بصاحبِها، وهي كالتَّالي:

قال: «١ ـ عدم العمل بالمنهج الأفيح الذي يُعاد فيه إدماج السلفيين المخالفين في مجلة الإصلاح على نمط ما يسير عليه الحلبي في دعوته، وهو ما ظهر من خلال إعادة استكتاب المخالفين والاجتماع بهم ومناصرتهم في المجمع والمجالس الأخرى».

أولا: إنَّ هذا الكلام دعوى عريضَة وطويلَة، يحتاجُ إلى دلائل وبيِّنات، فإلقاء مثل هذا الحكم الجائر على إخوانك ظُلمٌ ظاهر، وتجنٍّ سافر؛ وهو مِن أعظَم الفِرى وأقبَحِها.

ثانيا: ممَّا اتَّفق عليه المشايخ فيما يتعلَّق بالمستكتَبين في المجلَّة من أوَّل يوم ألَّا يُستكتَب فيها إلَّا مَن كانَ على الجادَّة، وقد مضى العملُ على هذَا إلَّا ما وقَع على وجه الخطَأ، وهو نادرٌ جدًّا، فقَد يُنشَر لمن لم يتَّضح أمرُه واستُصحِب فيه الحالُ الأوَّل الَّذي كانَ عليه، لكن لا أعلَمُ أنَّنا تيقَّنَّا مِن مخالفَة أحدٍ وبلَغنا أمرُه ثمَّ أصرَرْنا على النَّشر له.

ثالثا: أُفشي هُنا سرًّا، وأقُول: إنَّ عدد الكُتَّاب الَّذين وردَت إلينَا مقالاتُهم وبحُوثهم إلى المجلَّة طيلةَ إحدَى عشر سنة في ٥٧ عددا، قد وصل إلى ٤٤٨ كاتبًا، لكن لم يُنشر سوى لـ ١٤٠ كاتبًا.

كما أنَّه ورد إلينا ١٥٠١ مقالا، نُشر منها ٧٥٨ مقالا، ما يعني أنَّنا أعرَضْنا وتركنَا ٧٤٣ مقَالًا؛ إضافةً إلى ما تقومُ به هيئة التَّحرير من التَّصحيح والتَّنقيح والتَّهذيب والضَّبط للمقالات حتَّى تخرجَ في أحسن صورة، ونبلُغ بها الغايةَ لإخلائها من الأخطاء العلميَّة والمنهجيَّة؛ فالمجلَّة رسالةٌ علميَّةٌ تتحمَّل المقالات المنشُورة فيها، وتضمَنُ لقرَّائها أنَّها تحوي علمًا صحيحًا، ومنهجًا سليمًا؛ إلَّا ما كانَ سبيلُه الخطأ غير المقصودِ؛ لأنَّ الله أبى ألَّا يتمَّ إلَّا كتابه.

فهَل ـ يا تُرى ـ مَن يفعَل هذا، ويحرصُ على ألَّا يُنشَر في المجلَّة إلَّا لَمن سلمَت عقيدتُه، وصفَى

منهجُه يوصَف بأنَّه يعمَل بالمنهَج الأفيَح؟

فإمَّا أنَّك لا تعرفُ معنى المنهَج الأفيَح، أو أنَّك تُلبِّسُ على النَّاس بحثًا عن الطَّعن في إخوانِك ولو بالزُّور والبُهتان!!

بل أنتَ أولى أن يُلصَق به هذا المنهَج؛ لأنَّه شهد الثِّقاتُ أنَّك كنتَ تقول: «**إنَّ في صفُوف تنظيم داعش سلفيِّين**»؛ فهَل يُعقَل أن يُكونَ مَن التحَقَ بهذا التَّنظيم سلفيًّا؟! فهذا دليلٌ قاطعٌ على أنَّك تحمل تصوُّرًا خاطئًا على السَّلفيَّة...!!

رابعًا: لقَد حاول بعضُ المغرضين الخائضين في هذه الفتنة من أتباعِكَ أن يروِّجَ لفكرة كاذبة خاطئة وهو أنَّ القائمين على المجلَّة ينشرون للمُخالفين والمنحرفين، فيُظهرون في وسائل التَّواصُل بعضَ الأسماء الَّتي نُشرَت لهم مقالاتٌ في المجلَّة بعضُها مِن سنواتٍ يومَ أن كانوا على الجادَّة وقبلَ أن يظهر خلافُهم وانحرافُهم؛ وهذا كلُّه من التَّضليل والتَّلبيس على النَّاس.

قال: «**٢ ـ الإقلاع عن نبز مشايخ الدعوة في الجزائر، وخاصة في مجالسكم المغلقة**».

هذا مِن أغرَب الأمُور أن يُطالَب مشايخٌ سائرون في طريق الدَّعوة وتعليم النَّاس وتوجيههم بمثل هذا الكَلام المجمَل، الَّذي لا يُمكنُنا فهمُه إلَّا مُفصَّلا؛ فالمرجوُّ ـ يا دكتور ـ أن تُوضِّح لنا معنَى النَّبز عندَك؛ وتُحدِّد لنا أسماء هؤلاء المشايخ الَّذين يَنْبِزُون، والمشايخ الَّذين يُنبَزون، **وعرِّفنا بمعنَى كلمَة المجالس المغلَقَة عندَك!!**

بعدها نُطالِبُ معكَ هذَا الَّذي ينبِزُ مشايخَ الدَّعوة في الجزائر بالكفِّ والإقلاع عن ذلكَ؛ فالنَّبزُ واللَّمزُ محرَّمٌ بنصِّ القرُآن والسُّنَّة والإجماع على جميع النَّاس.

وها قد كشفت الأيَّامُ ما كان خافيًا، وعُلم مَن كانَ ينبزُ كبار العُلماء السَّلفيِّين ويتوعَّدُهم بالسُّقوط وذهاب المصداقيَّة في الجزائر؛ ولا حول ولا قوَّةَ إلَّا بالله.

قال: «**٣ ـ الاعتذار عما صدر في الفيديوهات، وكذا التعامل مع جمعية الونشريسي المعروفة بتوجهها**».

أمَّا هذه؛ فأظنُّ أنَّك تقصد بها الشَّيخ عزَّ الدِّين والشَّيخ رضا بوشَامة، لمشاركتهما في دورة علميَّة تُقيمُها الجمعيَّة المذكُورة، وقَد أجابَ الشَّيخ رضا عن سُؤال متَعلِّق بهذَا الشَّأن عن طريق الواتساب، ثمَّ كتَب توضيحًا على صفحته في الفَايسبوك أزال فيه كثيرًا منَ اللَّبس والتَّشويه الواقع في

هذه القضيَّة، وأنكَر ما ليسَ صحيحًا.

ومعَ هذَا لَمَّا سُئلتَ في الواتساب عن جوابه وإنكاره لما نُسب إليه ممَّا ليس صحيحًا؛ أجبتَ قائلًا: «يُظهر لغيره كأنَّه لم يسمَع شيئًا موثَّقًا»، ثمَّ قال لكَ السَّائل: لعلَّكم تُتحفون أبناءكم بتعليقة عليها؟

فأجبتَ قائلا: «كما يتبرَّأ السَّارق من سرقته»!!

أقُول: ما كان يليقُ بكَ ـ أصلحك الله ـ أن تجيبَ بمثل هذا الجواب، وتُسيء الظَّنَّ بأخيك؛ وتصرُّ على إلصَاق التُّهمَة به، مع إنكاره ونفيها عن نفسِه؛ فماذَا كان يضرُّك لو أنَّك أحسنتَ الظَّن وأحسنتَ القولَ في جواب أخيكَ، حتَّى إذا جاء وقتُ الصُّلح لم نجد بابَه مسدُودًا بمثل هذه العبَارات المنفِّرة، والكلمات السَّاقطة؛ فقَد كان بإمكانك أن تمتثل قولَ الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ]، فتكونُ عونًا على إطفاء الفتنة ووأدِها، وسببًا لتَسهيل أمر الاجتماع.

فكما تحبُّ أن يُصدِّقَك النَّاسُ في أجوبتِك عمَّا أُورد عليكَ؛ فصدِّق أنتَ إخوانَك الصَّادقين في أجوبتهم، ودَع عنكَ المُماراةَ والعِناد، وأنتَ تعلمُ أنَّ اللهَ كلَّفنا بالحُكم على الظَّاهر وهُو سُبحانَه يتولَّى السَّرائِر والبواطِن.

قال: «٤ ـ ترك مصاحبة بعض المخالفين، وتزكيتكم لهم».

وهذا أيضًا من الإجمال الَّذي يحتاج إلى تفصيل؛ إذ يُقالُ لكَ: سَمِّ لنا مَن يُصاحبُ مَن؟ ومَن يُزكِّي مَن؟ حتَّى يكونَ الأمرُ بيِّنًا واضحًا، ونضَع الأمُور في نصابِها، ولا يتحمَّل أحدٌ ذنبَ غيره، ويُعرف مَن هو المعنيُّ بالمؤاخذَة.

وإن كانَ في المشايخ مَن يُتَّهم بذلكَ، فأَوْلى بذلكَ (أزهَر) الَّذي دخل في شراكة مع مَن لا يخفَى حالُه من سنواتٍ، وقد حاولَ بطريقَة ملتَوية مكشوفَة أن يبرِّئَ ساحةَ شريكه، فلا نكيلُ بمكيالَيْن!!

قال: «٥ ـ كتابة تراجع واضح عن تزكية المشايخ المخالفين للمنهج السلفي كابن حنفية والحلبي وعبد المالك».

يا دكتُور ـ أصلحَك الله ـ لا يُطالَبُ بهذا إلَّا مَن ثبتَ في حقِّه أنَّه يزكِّي هؤلاء المذكورين تزكيةً واضحةً؛ أمَّا مَن لم يثبُت عنه ذلكَ ليس لأحدٍ أن يُطالبَه بشيء.

وإذا كانَ الأمر واردًا على إخوانكَ، فإنَّه يردُ عليكَ وعلى مَن معكَ؛ فيُطالَب (أزهَر) بكتابة تراجُع واضح عن مصاحبتِه وتزكيتِه لشريكِه في مكتبتِه؛ وعن بيعِه كُتُب أهلِ البدَع والضَّلال في مكتبتِه أو في معارض الكتَاب الدَّولية، وأكلِ ثمنَها، ومِن تمام توبتِه أن يكتبَ قائمةً بأسماء تلك الكُتب ليحْذَرها النَّاس، فلا يغترُّوا بها.

وأنتَ ـ مثلا ـ مُطالَبٌ بكتابة تراجُع واضح في تزكيتك المطلقَة لصاحبكَ (أزهر) بعد أن ثبتَ في حقِّه الكذبُ الصَّريح والطعنُ الفظيعُ في العلماء وتحقيرهم، وكتابة تراجع عن نفيك لذلكَ، حيث سألك أحدُهم في الواتساب قائلا: «**نسمع في الآونة الأخيرة من بعض المغرضين ـ أصلحهم الله ـ يقولون بأنَّ الشَّيخ أزهر يطعنُ في الشَّيخ ربيع حفظه الله، فهل هذا صحيح؟ في المجالس الخاصة.**

فقُلتَ مجيبًا: هذا افتراءٌ وبهتانٌ؛ أين طعنَ في شيخنا ربيع، بل المعروف عنه أنه يعظمه ويكرمه، الله المستعان من نقل الأخبار الكاذبة، والافتراءات المقصودة»

فالمتوقَّع منكَ ـ بعد ظهور الصَّوتيات المسرَّبة ـ أن تتشجَّع وتكتبَ نفيًا لهذا النَّفي، وتراجُعًا عن هذَا الجزم، وتعتَرف بما ثبتَ عن صاحبك وأنَّه طعنٌ في العدالة، وإنَّ سكوتَك عنه خيانةٌ.

قال: «**٦ ـ ترك إقامة الدروس في بعض مساجد المخالفين، وتزكيتكم لهم**».

لا أدري مَن تقصد بهذَا! فعليك أن تُسمِّي مَن أقام الدُّروس في مساجد المخالفين، ومَن زكَّى هؤلاء المخالفين؛ فالأمر يحتاجُ إلى بيان وتوضيح وتعيين، فلا يُغني هذا الإطلاق والتَّعميمُ شيئًا.

قال: «**٧ ـ الكفُّ عن استغلال الدَّعوة السَّلفية لأغراض شخصية، والإقلاع عن المتاجرة بها**».

هذه التُّهمة من أخطر التُّهم الَّتي رُمي بها مشايخ الإصلاح في هذه الفتنة الهوجَاء، والله حسيبُ مَن روَّج ذلكَ عنهُم، وسعَى لإلصاق هذه الجريمةَ الشَّنيعَة بهم؛ وأنا ـ في نظري ـ أنَّ مَن ثبتَ عنه ذلكَ لا يصلُحُ أن يكونَ في صفِّ الدُّعاة إلى الله تعَالى أبدًا، وحقُّه أن يكونَ بعيدًا عن ساحة القُدوات، وذوي العلم والهيئَات؛ لذا فإنِّي أتساءلُ كيف تجرَّأت أناملُ الدُّكتور على تسطير هذه الجملة الهالكة والكلماتِ المُهلِكة!؟ وكيفَ تصوَّر أنَّ إخوانَه يُمارسُون التِّجارةَ بالدَّعوة؛ لأنَّ مَن تلبَّس بهذا العَمل القَبيح كانَ له نصيبٌ من قوله تعَالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧﴾ [سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ].

فأفِق ـ يا دكتُور ـ مِن سكْرَتِك، وقلِّب النَّظر جيِّدًا فيما تكتُب لتُدرك أنَّك تُسطِّر كلامًا خطيرًا

لتَنتهك به أعراضَ مشايخ فُضَلاء ودُعَاة شُرفاء طالما وثقَ النَّاسُ في علمِهم ودينهم وأمانتِهم؛ وأجرى الله على أيديهم خيرًا وفيرًا، فإن لم يكُن معك بيِّنات واضحَة وحُجَج دامغَة على دعواك، فأنتَ مَن يحتَاج إلى الكفِّ عن إطلاق لسانِه في الأبرياء، وتقديم الاعتذَار وراءَ الاعتذَار عمَّا صَدر منكَ مِن هذا الاتِّهام الفظيع، والاعتداء الشَّنيع، ولم يسلَم مِن هذه التُّهمةُ حتَّى بعض طلبَة العلم الفُضلاء وهُو الشَّيخ مصطفى قالية إذ رماه (أزهَر) ـ هدَاه الله ـ بفاقرة منَ الفَواقر، فلمَّا طولب بالبيِّنة والشُّهود نكصَ ونكلَ؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ].

ثمَّ قَال: «**وانتظرنا منكم الجواب، فلم نتلقّ منكم أيّ جواب**».

فلينظُر القارئُ الحصيفُ إلى هذه المطالب أو المؤاخذَات الَّتي يريد الدُّكتور جمعَة من إخوانه أن يمتَثلوا لها وينفِّذوها حتَّى يجتَمع بهم؛ وجعلها كالشَّرط المسبَق؛ فهل ـ يا عُقَلاء ـ يصحُّ أن تكونَ هذه المسائل العالقَة وهي من أسبَاب الخلاف، أن تُجعل شرطًا لقَبول الصُّلح والاجتماع !؟

وقد كثُر الحديثُ حول هذه الشُّروط المزعومَة، وأذاع الدُّكتور ومَن معَه في النَّاس ونشروا بينَ الشَّباب أنَّ مشايخ الإصلاح يمتَنعُون عن الاجتماع ويرفضُون اللِّقاءَ؛ لأنَّهم لم يرضخُوا للشُّروط الَّتي أقرَّها الشَّيخ فركوس! بل وزعم (أزهَر) أنَّ الشَّيخ ربيعًا المدخلي وافقَ عليها، وهو كذبٌ صريحٌ نفاه الشَّيخُ نفسُه حينَ سُئل عن هذه الموافقَة؛ ثمَّ تناقلَت وسائل التَّواصل أنَّه قال ـ حفظه الله ـ: «**وهل يُعقَلُ أن يُقال اجتَمعوا بشُروط!؟**»، وقال: «**أنا قلتُ: اجتمعوا على الحقِّ، والشَّرط هو اتِّباع الحقِّ**»[1].

فأُحبُّ أن ينتبهَ القارئُ الكريمُ إلى أنَّ هذه الشُّروط أو التُّهم في الحقيقَة لو أقرَّ مَن أُدين بها واعترفَ أنَّه تلبَّس بها، لكانت حجَّةً كافيةً في عدم الاجتماع به لبُعده عن السَّلفيَّة، بل يُقدَح في ديانتِه.

ثمَّ قال: «**فلماذا تأخذك العزّة بالإثم؟! ولماذا هذا الإصرار، والتحدّي، والتعنّت؟! ماذا عليكم لو كتبتم بيانًا تتراجعون فيه عمّا أُخذَ عليكم، فيرفع الله قدركم، برجوعكم إلى الحقّ، فإنَّ الحقَّ قديم،**

(١) شهد بذلك محمَّد هلوب وعبد الرحمن رحال ليلة الثلاثاء ٣/ ٧/ ١٤٣٩.

والحقّ أحقّ أن يتّبع؛ فيحسم الخلاف، وتنطفئ الفتنة ويُرْأَب الصدعُ؛ وكانَ في وسعِكم احتواء الخلاف والحدّ مِن إطالتِه؛ وإلا فمَن أطال في عُمر الخِلاف، ووسَّع دائرتَه؟!».

وهذا الكلام أعيدُ توجيهَه إليكَ، وأقول: لماذا هذا الإصرار، والتَّحدِّي في ردِّ كلام العلماء، والإعراض عن وصاياهُم، والتَّعنُّت في إلصاق التُّهم الباطلَة بالأبرياء؟!

ماذا عليكَ لو عُدتَ إلى نصيحة العُلماء الكبار الدَّاعية إلى الاجتماع دونَ شَرط مُسبَق، فيرفَع الله قدرَك، برجوعِك إلى الحقِّ...، وكتبتَ بيانًا تتراجعُ فيه عمَّا جنَتْه يداكَ في هذه الفتنَة، وكلَّ هذه الزَّوبعَة الَّتي أثرتَها، وقد ضاقَت منها النُّفوس وتضجَّرت منها القُلوب؛ لكُنتَ سببًا في رفع الخلاف، والتئام الصَّفِّ ورأب الصَّدع، وقد كانَ في وُسعِك احتواء الخلاف والحدِّ من إطالتِه لو اجتمعَت بإخوانك ولم تتعنَّت وتصُمَّ آذانَك عن وصايا العُلماء.

فأنتَ يا دكتور ـ هداكَ الله ـ مَن بدَأ هذه الفتنةَ وأشعلَ فتيلَها، وأنتَ مَن أطالَ عمرَها وأيَّامَها، وأنتَ مَن وسَّع دائرةَ الخلاف فيهَا، وأنتَ مَن عمَّق الجُرحَ بطعونك الظَّالمة في مشايخ الدَّعوة السَّلفيَّة في الجزائر ومُقدَّميها وخيار طلبتِها؛ لكن العمايةَ الَّتي أنتَ فيها جعلتكَ لا تَرى إلَّا ما أوحَاه إليكَ مَن يُزيِّن لكَ عملَك، ويصفُكَ أنَّك كاشفُ المندسِّين، وقامعُ المدسُوسين المميِّعين، وأنَّ الله سخَّرك لتنقذَ الدَّعوةَ السَّلفيَّة في الجزائر، وغيرها منَ الإيحاءات الباطلة الَّتي أنتَ مُنسَاقٌ وراءَ سرابِها، وماضٍ في سراديبِها، ظنًّا منكَ أنَّك تقودُ السَّلفيَّة إلى أيَّامها الزَّاهرة الزَّاهية ـ كما وعدتَ ـ، وأنتَ في الحقيقة تقودُها إلى أيَّامها الحالكة؛ فأسألُ اللهَ حسنَ العاقبة.

وممَّا لا ينقضي منه العجبُ أنَّه مرَّ عليكَ فترةٌ في بداية الأمر أنتَ وصاحبك (أزهَر) تُنكران أشدَّ النَّكير على مَن يُسمِّي ما حلَّ بنا فتنةً؟ وتزعُمان أنَّ الحقَّ ظاهرٌ بيِّنٌ أبلجُ، فكنتُما تنهيَان أن يُقالُ: نحنُ في فتنَة؛ لكن أراكَ اليوم صرتَ تعبِّر بالفتنَة في قولكَ: **«وتنطفئ الفتنة ويُرْأَب الصدعُ»**، وقولكَ في الأخير: **«ختاما أقول: لا أحد يرضى ما آلت إليه الدعوة اليوم، ولا أحد يرضى بالخلاف وإثارة الفتن»**؛ وهذا ممَّا يدلُّ على اضطرابِك وتخلخُل الموازين عندكَ، وقَد ظهر عليكَ جليًّا هذَا الاضطراب والتَّناقض منذ أن بدأتَ حملتَكَ الجائرةَ على إخوانكَ السَّلفيِّين، وهذا وحدَه كافٍ للحُكم على انحراف خطَّتِك، وفسادِ طَريقتِك، وبُعدها عن القُرآن والسُّنَّة ومنهج السَّلف، قال ابن

تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إنَّه قَد عُلِم أنَّ كلَّ ما جاءَ مِن عندِ غير الله فإنَّه لا بدَّ أن يختَلفَ ويتناقَضَ، وما جاءَ مِن عندِ الله لا يتناقَضُ، كما قال تعالى:** ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ]»[1]؛ وسأسُوقُ لكَ نماذجَ مِن هذَا الاضطراب:

١ـ التَّضارب في الأقوال والكَذب:

في بدايات حملتِك الظَّالمة على دُعاة الجزائر السَّلفيِّين الَّتي بدأتها في الحديقَة بجوار بيتِك، كان يأتيك الوفُود منَ الشَّباب؛ فمرَّة كنتَ تقُول لبعضِهم: انشُروا عنِّي، وتقُول لآخَرين: هذا خاصٌّ وليسَ للنَّشر، بل أحيانًا يأتيك المستَثبتُ فتَنفي ما نقَله عنكَ الثِّقات؛ حتَّى إنَّك لَمَّا ذهبتَ إلى المدينَة وجلستَ إلى بعضِهم فأسرَرْتَ إليهم بحديثٍ مفادُه: «**إنَّه لم يبقَ منَ المشايخ السَّلفيِّين في الجزائر سوى خمسَة**»؛ ثمَّ لَمَّا نُشر هذَا الخبر الصَّاعقَة عنكَ، واستَغربه النَّاسُ واستَبعدوا وقُوعَه حتَّى إنَّ الشَّيخ سُليمان الرُّحَيلي تكلَّم عن هذَا الخَبر في درسِه بالمسجِد النَّبوي، وقَال لنَا لَمَّا التقينَاه[2]: «**أنا استَبقتُ الأمر وأنكرتُ ذلكَ حتَّى لا يستَفزَّ الشَّبابُ الشَّيخَ جمعَة ويقُول ذلكَ، فإنَّ هذَا غير معقُول، بلدٌ فيه الملايين من النَّاس يُقالُ: لم يبقَ فيه من المشايخ سوى فلان وفلان...!!**»؛ ولَمَّا سُئلتَ أنتَ عن الخبر أجبتَ في الواتساب إجابةً ملتويةً حيثُ أنكرتَ اللِّقاء بالشَّيخ عبد الله البُخاري، وقلتَ بالحرفِ الواحِد: «**هذَا غيرُ صحيح فلَم ألتَق بالشَّيخ البُخاري بل كذبٌ محض، فإنَّ الشَّيخَ عبدَ الله مسافرٌ وغيرُ موجُود في المدينَة، من (ترسل) أنِّي التقيتُ بالشَّيخ عبد الله؛ لأنَّه كذبٌ مقصُود**»، ثمَّ قلتَ: «**أيادي خفية تعبثُ لإسقَاطي زعمُوا**».

وهكذَا ظننتَ أنَّك تنصَّلتَ منها، والواقعُ وشواهدُ الحال والأيَّام أثبَتت أنَّ الواقعَة صحيحَةٌ، وأنَّ التَّصريحَ والكلامَ المسرَّب عنكَ مِن هذا المجلس المغلَق خرجَ مِن فيك؛ فلمَ التَّهرُّبُ والتَّلكُّؤ والتَّلاعُب بالألفَاظ!؟

وأقُول لكَ ما قُلتَه لي: «**أمَا كان يسعُك الاعتراف بالحقِّ، ويسجَّل عليك الإنصاف، بدلًا من أن يسجَّل عليك الكذب**».

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٦).

(٢) ببيته بالمدينة النبوية يوم الجمعة ٢٠ ربيع الأول ١٤٣٨هـ الموافق ٨ ديسمبر ٢٠١٧م.

٢ـ التَّفريق بين المتماثلات:

كما أنَّك **عدتَ تضطرب في الأحكام المتماثلة**، حيثُ تنقمُ على الشَّيخَين الدُّكتور رضا والدُّكتور عبد الخالق لتدريسهما في الجامعة لكونها مختلطَة، ولا تعرِّجُ على ذِكر الشَّيخ فركوس! مع أنَّه أستَاذ في نفس الجامعَة الَّتي يُدرِّس فيها الشَّيخ رضا؛ فلمَ هذا التَّحكُّم يا دكتور!!

ثمَّ أنتَ نفسُك كنتَ مدرِّسًا في الجامعة لسنواتٍ، حتَّى إذا قضيتَ نهمَتَك منها، رُحتَ تعيبُ مَن يُدرِّسُ فيها!!

أو تُعاتبُ الشيخ عزَّ الدِّين لكونه ألقى درسًا في مسجد أحدِ المخالفين، ولا تلومُ صاحبك (أزهَر) الَّذي ألقَى درسًا في نفسِ المسجد قبله أو بعده بأيَّام !!

وترى أنَّ أيَّ طعنٍ فيكَ أو في (أزهَر) هُو طعنٌ في سلفيَّة الطَّاعن وتجريحٌ له، لكن كلّ طعوناتِك في غيركَ من المشايخ لا تسمَّى طعنًا أصلا ـ على حدِّ قولكَ ـ، فضلا عن أن يكونَ ذلكَ قادحًا فيكَ!

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والكلامُ في النَّاس يجبُ أن يكونَ بعِلم وعَدل، لا بجَهل وظُلم، كحَال أهلِ البدع؛ فإنَّ الرَّافضَة تعمدُ إلى أقوام مُتقارِبين في الفَضيلة، تُريد أن تجعَل أحدَهُم معصُومًا منَ الذُّنوب والخطَايا، والآخَر مأثُومًا فاسقًا أو كافرًا، فيظهَر جهلُهُم وتناقُضُهم،..**» إلى أن قَال: «**وكلُّ مَن عمَد إلى التَّفريق بينَ المتماثلَيْن، أو مَدَح الشَّيء وذمَّ ما هُو مِن جنسِهِ، أو أوْلى بالمدح منهُ أو بالعَكس، أصابَه مثلَ هذَا التَّناقُض والعَجْز والجَهل، وهكَذا أتباع العُلماء والمشايخ إذَا أرادَ أحدُهُم أن يمدَحَ متبُوعَه ويذُمَّ نظيرَه، أو يُفضِّلَ أحدَهُم على الآخَر بمثلِ هذَا الطَّريق**»[(١)].

٣ـ سلوك منهج الموازنات:

وصرتَ تسير أحيانًا على منهج الموازنات، حيث لَمَّا سألكَ بعضُ إخواننا عَن (أزهَر) ـ أصلحَه الله ـ وقالُوا لكَ: «**لكنَّ كُتُب الإخوان وغيرِهِم رأيناها في مكتَبتِه بأمِّ أعيُننا ؟! فأجبْتَهُم قائلا: قُولُوا لهُ هذَا الكلام؛ ثمَّ قلتَ: الخطَأ خطأ، لكنَّ الرَّجلَ له مواقف مشرِّفة**»، فسكتُوا مستَغربينَ مِن جوابكَ؛ لأنَّهم سلفيُّون ويعلمُون أنَّ هذا الكلام هو عينُ الموازنات.

---

(١) «منهاج السنة» (٤/ ٣٣٧)

وها هُو الآن ظهر أنَّه طاعنٌ في علمائنا الأبرار، بصوتياته المسرَّبة الَّتي تنبئُ على أنَّه يُضمِرُ في نفسِه غيرَ الَّذي يُبديه للنَّاس في العَلَن؛ ومع ذلكَ لم نسمَع ـ إلى حدِّ كتابة هذه الأحرُف ـ لك إنكارًا ولا جوابًا، على عكس ما تميَّزتَ به في هذه الفتنة مِن سُرعة التَّجاوب مع كلِّ حدَث، وبخاصَّة إذا تعلَّق الأمر بمشايخ الإصلاح تحذيرًا وطعنًا وغمزًا، أم إنَّ كذبَ (أزهر) وطعوناته في العلماء تبقى مجرَّد أخطاء مغمورةٍ في بحر مواقفه المشرِّفة!! وأنتَ تعلمُ «أنَّ الكذَّابَ أخسُّ منَ المبتَدع» كما يقُول الشَّيخ ربيع.

٤ـ الاضطراب في الحكم على النَّاس:

كما **أنَّ أحكامَك على الرِّجال أضحَت متناقضَةً مضطربةً**، فصرتَ تُزكِّي غيرَ الأسوياء، بمُجرَّد أن يُظهِر لكَ شيئًا منَ الولاء، وتطعَنُ في الأبرياء ولو كانُوا منَ العُدول الثِّقات إذا أحسَسْتَ أنَّهم لا يُسايرونك في موقفكَ من مشايخ الإصلاح، لهذا زكَّيتَ (عيسَى البُليدي) بمُجرَّد ما نقَل خبرًا مفادُه أنَّ الشَّيخ ربيعًا يأمُر الشَّيخ عزَّ الدِّين أن يستَجيب لشُروطِكم الَّتي وضعتُموها للاجتمَاع، ففرحتَ بالخَبر، وتخلَّيتَ عن الأحكام العمليَّة الَّتي ينبغي تنزيلُها على نقَلَة الأخبَار، فقَال السَّائل ـ في الواتساب ـ: «شيخنا أحسن الله إليكم سمعنَا منكم على الذي نقل قولَ الشَّيخ ربيع المسمَّى بعيسى البليدي، فهو منَ القَائمين على مجموعة في الفايسبوك اسمها «منبر السلفيين في البليدة» فعندهم طريقَة حدَّادية، وهُم الآن ضد ردِّ محمَّد بن هادي على الصَّعافقَة، وعندما تكلَّم غازي العرماني في الشَّيخ سليمان وضعُوا (مقال) كتبوا فيه (هذا غازي العرماني لمن لا يعرفه)، ووضعوا له تزكيات وعندما سألتهم: لماذا فعلتُم هذَا لم يجيبوني شيئًا؟

فقُلتَ مجيبًا: لكن خبَره صحيحٌ، ومعَه نفرَان وقرينة الحال يستَحيل كذبه على الشَّيخ وهو حي، أمَّا خلافُه مع مرابط فقَد بان حال مرابط فلا يعتَبر».

وأنا أقُول: لا يمكنُ تسمية هذَا الجواب سوى أنَّه تلاعُبٌ بقَواعد العِلم، واستهتارٌ بها، فالرَّجُل يُذكَر لكَ انحرافُه، وأنتَ تقُول: «خبَره صحيح، ويستَحيل كذبُه»؛ فلم تكُن موفَّقًا أبدًا في هذه الإجابة لا أنتَ ولا صاحبُك الَّذي زكَّاه بعدما كان يغمزُه؛ إذ في اللَّيلة المُواليَة نفَى الشَّيخُ ربيع ما نقَله عنه هذا البُليدي وقوَّله إيَّاه.

والأعجبُ من هذا كلِّه أنَّنا لم نسمَع منكُما توبةً أو تراجعًا عن هذِه الإجابَات الخائبة، ثمَّ

تُطالبان غيرَكم بالتَّراجع والتَّوبة عمَّا لم يثبُت عنه أصلا؛ فما لكُم كيفَ تحكمُون!!

وهذَا حالُك في تراجعِك عن تشنيعك السَّابق على (بشير صاري)، الَّذي سعيتَ بكلِّ ممكن لإيقافه عن التَّدريس بالعلمة، وتأذَنُ له اليومَ أن يدرِّسَ في ضواحي إقامتِه فقَط!

ودفاعك المستَميت عن (بلال يونسي) رغمَ كلِّ ما علِقَ به مِن أسبَاب لتَجريحه وعرضٍ لخزاياه وبلاياه الَّتي شهد بها أصحابُه العَارفون به في إقامة زواغي بقسنطينة، إلَّا أنَّك قُلتَ مجيبًا في الواتساب عمَّن سألَك عن المنشُور الَّذي حملَ تلكَ الشَّهادات: «**هذا المنشور يوهمُ أنَّ طلبة الزواغي لهذه السنة، وما قبلها هم من كتبوه وهذا تدليس؛ بل الذين نشروه هم من الذين مضى عليهم في الحي أكثر من عشر سنين، وأنا أتعجب كيف هذه المدة المديدة كلها التزم الصمت ثم اليوم بالذات يخرج عن صمته لينشر مثل هذا البيان مما يؤكد أن من نشره مغرض، ومثير الفتن لأن تلك الأخبار قد أكلها الزمان وشرب، وأيضا فقد ذكر أشياء غير صحيحة وهي على خلاف الواقع، ولهذا أدعو الناشر أن يتقي الله تعالى ولينظر ما يكتب، فإنه ستكتب شهادتهم ويسألون.**

وأخونا بلال نحسبه على خير ومحبا للسنة غيورا على المنهج وليس بمعصوم، وكفى بالمرء نبلا أن تعد معايبه، ولعلهم حنقوا عليه لما أوجعهم بردوده وقض مضاجعهم.

ولهذا أنصح الإخوة الفضلاء ألا يتداولوا مثل هذه المنشورات بل لا يقرؤوها أصلا، حتى تكون على البال راحة وتعود على المغرضين حسرة، وإذا أرسلت إلى هاتف أحدهم فليمحها، والله الهادي إلى الصواب».

فأقُول: لو اعتَذرتَ لإخوانكَ مشايخ الإصلاح ببَعض ما اعتَذرتَ لهذا الفتى المُفسِد لما وقعْتَ فيما وقعْتَ فيه، وكُفينا شرَّ هذه الفتنَة الَّتي تولَّيتَ كِبْرَها؛ لكنَّه التَّحكُّم في قواعد العلم والتَّصرُّف فيها على التَّشهي والذَّوق إلى حدِّ العَبث؛ فالتَّزكية للمُوالي وتسويغُ جميع عيُوبه، والتَّجريح للمُخالف ولو كان مِن أزكَى النَّاس وأوثقِهم.

ومِن هُنا يمكنُ الخروجُ بقناعَة وهيَ أنَّك صرتَ من غُلاة الولاءِ الشَّخصي، وتبني أحكامَك في التَّجريح والتَّعديل على «**الشَّخصَنة**»، لا على قواعد نُقَّاد أهل الحديث، وتُحاولُ تغليفَها برداء المنهَج، فاللهَ اللهَ في الدَّعوة السَّلفيَّة!!

وقد وصلَ بكَ الحال أخيرًا إلى الطَّعن في الشَّيخ الفاضل عبد الغني عوسَات ولم ترعَ له حُرمةً،

ولم يشفَع له عندَك علمُه ولا سبْقُه ولا سنُّه وشيبتُه، ولا أثرُه الحسن الجميل في نشر الدَّعوة السَّلفيَّة في ربوع هذا البلد الَّذي لا يُنكرُه إلَّا جاحد؛ مع أنَّك قبل وقتٍ يسيرٍ كنتَ تقول: «الشَّيخ عبد الغني رجلٌ رسخت قدمُه في العلم وكنتُ أحضُر مجالسَه وأنا شابٌّ صغير»؛ فأينَ شعار احترام الكبَار، وعدم التَّطاول عليهم!؟

٥ـ النَّصائح الغَريبة:

حيث صرت تنصَحُ بعدم اقتناء مجلَّة الإصلاح، وتقُول في بعض أجوبتك الواتسابية: «ضعوها في الأرشيف»؛ ومرَّةً تقول: «مجلَّة الإصلاح لم تعد للإصلاح»؛ وليتَك تبيِّنُ الأصول والقواعد الَّتي تبني عليها هذه الأحكام الجُزافيَّة؛ حتَّى يُرى إن كانت هذه الفتاوى والأجوبة مؤسَّسةً على العِلم والدَّليل، أم أنَّها نتيجةُ التَّسرُّع والفكر العَليل؛ كما زعمتَ يوم اجتماعنا الأخير (١١/ ١٠/ ١٤٣٨هـ الموافق ٥/ ٧/ ٢٠١٧م) أنَّه يحرُم بيعُ المجلَّة؛ بسَبَب وضعنَا لصُورة (الرَّاية) العَلَم الجزائري على غلافِها!!

وأصبحتَ تنصَح بعَدم قراءة ما يكتبُه إخوانُك المشايخ، حيثُ قُلتَ لمن سألك عن طَريق الواتساب: هل لنَا أن نقرَأ أو نسمَع الرُّدود الَّتي يُصدِرها بعضُ جماعة الإصلاح هذه الأيَّام؟ فقلتَ جوابًا عليه: «لا تقرأ وليسَ فيها فائدة؛ بل فيها مغالطات، تلبيسات مقرونة بالطعونات».

وتأمُر بإتلاف دروس فقهيَّة كان قد قيَّدها الطُّلاب عن إخوانهم **الشَّيخين خالد حمودة وسليم بوقليل ـ وفقهما الله ـ**، كما تنصَح بحرق كتُبهم، الَّتي تُباع في مكتَبة (أزهَر) مع خصْم لقيمتِها؛ وكأنَّ الحكمَ متعلِّقٌ بالأتباع لا بالأشياخ!!

وتنصَح بحضُور دروس وخُطَب مَن قلَّ علمُه وصغُر سنُّه ما دام مواليًا لك، وتصرِفُهم عمَّن علا كعبُه في العلم، وحنَّكته التَّجربة في الدَّعوة إلى الله لقِدَم سنِّه **كالشَّيخ عبد الغَني والشَّيخ عُمَر الحاج مسعود ونحوهما** بسَبَب عدَم مسايرتِك في مشروعك؛ فأينَ الصِّدق في النَّصيحة؟ وأينَ اتِّباع الحقِّ في كلِّ حال؟ قال المعلِّمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ومهما بلغَ مِن حُبِّنا للحقِّ، فَلا ننصُره إلَّا بالحقِّ**»[1].

---

(١) «آثار العلامة المعلمي» (٤/ ٦).

وأخيرًا؛ اعلَم أنَّ إخوانَك الَّذين تقُود ضدَّهم هذه الحملةَ الظَّالمةَ وتعمَلُ على إسقاطِهم، هُم سلفيُّون على الجادَّة **فالشَّيخ عبد الغني عوسات سلفي، والشَّيخ عزُّ الدِّين رمضَاني سلفي، والشَّيخ عمر الحاج مسعُود سلفي، والشَّيخ رضا بوشامة سلفي، والشَّيخ عبد الخالق ماضي سلفي، والشَّيخ عثمان عيسي سلفي**، وهذا لا يعني عصمَتَهم منَ الخطأ والزَّلل؛ قال الشَّيخ عُبَيد الجابري ـ حفظه الله ـ: «**ومنَ البَلايا اعتقادُ أنَّ صاحبَ السُّنَّة لا يُخطئ**»[1]، بل قَال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ليسَ مِن شرطِ الصِّدِّيقِ أن يكُونَ قولُه كلُّه صحيحًا، وعمَلُه كلُّه سُنَّةً**»[2].

والمقصود أنَّ هؤلاء المشايخ لهم فضلهم ولهم سابقتُهم وسلفيَّتُهم معلومةٌ مشهورةٌ، فلا يجوزُ إهدار ذلكَ وتجاهلُه؛ وخطؤهم ـ إن كانَ خطأً ـ لا يستحقُّ كلَّ هذه الجلَبَة، وإثارةَ كلِّ هذه الحملَة الباغية الَّتي أبحْتَ لنفسكَ أن تطعنَ في أعراضِهم وديانتِهم، وتُحذِّر منهُم وتُنفِّر عنهُم معتمدًا على ظنُون سيِّئة وحكايات متوهَّمة باطلة، وبعضُها أكاذيب مختلقَة، حتَّى تطاوَل عليهم الصِّغار والأغمار، وصاروا عُرضةً للسَّبِّ والشَّتم والاحتقَار؛ فلم تسلُك مع إخوانك طريقةَ النُّصح المشروع، ولا سبيلَ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر المعلوم، ولا مسلكَ الدَّعوة إلى الله الرَّشيد، فإنَّك تصرَّفت في هذه الفتنة بطريقة غير سويَّة، خالية تمامًا من الحكمة والرَّويَّة، وكأنَّك ما درستَ العلمَ، ولا شممتَ رائحةَ الفقه وأنتَ الدُّكتور المتخصِّص في القَواعد الفقهيَّة، وممَّا كانَ ينبغي مُراعاته في هذا المقَام قاعدةٌ مرَّت بكَ حتمًا، وهي قاعدَة المصالح والمفاسد ووجوب مُراعاتها، وأنَّ درءَ المفسدَة أوْلَى مِن جَلْب المصلحَة؛ لكنَّ الفتنَةَ غيَّبت عنكَ حقائق العلم والمنهَج؛ إذ لو كُنتَ مُسدَّدًا تُريدُ الخيرَ لنفسِك ولأتباعِك لاستشرتَ العُلماءَ الكبارَ الَّذين تزورُهم باستمرار منذ ثلاثين سنةً قبلَ أن تشرَعَ في حملتِكَ، وتأخُذَ رأيَهم وتستنيرَ بعلمِهم، فإنَّ العلمَ قبلَ القَول والعمَل؛ لا أن تبدَأَ مشروعَك لإسقَاط إخوانِك، بلا دلائل واضحَة، ولا براهين بيِّنة، ثمَّ تبحثُ عن تأييد العُلماء، وهذا ما أوهمتَ به النَّاسَ أوَّل الأمر، وهو أنَّ الشَّيخَ ربيعًا أقرَّك وأيَّدك؛ إلَّا أنَّ هذا الوهمَ لم يدُم طويلا، ودليلُ ذلكَ أنَّه لَمَّا وقفَ كبارُ علماءِ الدَّعوة السَّلفيَّة على الحقيقَة، ووصَلَهُم خبرُ حملتِك بتفاصِيلها الدَّقيقَة، فهمُوا أنَّها مؤامرةٌ تُحاكُ ضدَّ الدَّعوة السَّلفيَّة في بقاع شتَّى منَ العالَم، يُرادُ مِن

---

(١) «مجموعة الرسائل الجابرية» (ص٦١).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ١٠٦).

ورائها تفريقُ جموعِهم، وتشتيتُ جُهودهم، وإضعافُ بُنيانهم، لهذَا ردَّدوا علينَا قولَ الله تعَالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ونصحُوا بالاجتماع والائتلاف والتَّآخي والتَّلاحم والتَّناصح، وطرح أسباب التَّفرُّق والتَّنازع والتَّقاطُع، وعدَم الالتفاتِ إلى مَن يُريدُ أن يفرِّقَ السَّلفيِّين كائنًا مَن كان؛ فإن كنتَ ـ يا دكتور ـ سمَّاعًا للعُلماء فهذه نصيحتُهم، وإن كانَت الأخرى فاعلَم أنَّك تسيرُ بالسَّلفيَّة في الجزائر مسيرًا خطيرًا قد ينتَهي إلى هدم أصولها العَظيمَة، وترسيم أصولٍ جديدةٍ فيها نفَسٌ حركيٌّ مشُوبٌ بروح بعيدةٍ عن العلم الصَّحيح؛ فالسَّلفيَّة لا تنتشر بالأكاذيب والأراجيف، وإنَّما بالصِّدق والعلم والدَّلائل الواضحَة، والسَّلفيَّة لا تنتَشر بالتَّقليد وتَقديس الأشخاص والتَّعصُّب لهم، وإنَّما بالاتِّباع والإقناع وأنَّ الحقَّ فوقَ الجميع، والسَّلفيَّة لا تنتَشر بالابتعَاد عن العُلماء وإحداث القَطيعة معهم ومُفاصلتِهم، وإنَّما بالارتباط بهم ولزُوم غرْزِهم وحُسن الظَّنِّ بهم؛ فالسَّلفيَّة بريئةٌ ممَّن يدعو إلى الحزبيَّة والعصبيَّة والعنصريَّة والجزأريَّة.

وإنَّك بحملتِك الظَّالمة قَد أسأتَ إلى السَّلفيَّة والسَّلفيِّين، وعبثتَ بهذه الأصُول المتينَة، وأحدثتَ فسادًا عظيمًا، وهُو ما يجعلُكَ مثارًا للشَّكِّ والرِّيبة؛ ففي الوقت الَّذي أجهزتَ فيه على إخوانكَ السَّلفيِّين بكلِّ شدَّة وقسوةٍ، وكأنَّهم مِن أهل البدَع والأهوَاء، وجدناكَ تُلاطِف غيرَهم منَ المخالفين وتلينُ معَهُم في الخطاب، وقد تذكَّرتُ أنَّك بالأمسِ القَريب ناقشتَنا في مسألة التَّترُّس وأنَّه لا ينبغي إلقاء القَنابل على تنظيم داعش بذلكَ الشَّكل، وأنَّ الإعلامَ قد صوَّرهُم على غير الواقِع، وكأنَّه أخذتكَ رأفةٌ بهم، ومنَ المعلوم عند العَارفين أنَّ هذا التَّنظيمَ لم يجد له مكانًا عندنَا؛ لأنَّه اصطدَم بصَخرة الدَّعوة السَّلفيَّة الصَّلبة باجتماع مشايخها، والتفافِ السَّلفيِّين حولهم، فجئتَ أنتَ الآن لتُفرِّق هذا الاجتماعَ المبارَك بالدَّعاوى الباطلَة، والاتِّهاماتِ الكاذبة؛ إنَّه حقًّا أمرٌ مريبٌ..!!

فانتَبه يا هذَا؛ وانظُر ما جرَّه سوءُ صنيعِكَ على الدَّعوة هذه الأيَّام، وما آل إليه حالُ السَّلفيِّين، فابذُل جهدَكَ لإطفاء هذه الفتنةِ الَّتي أشعلتَ فتيلَها، واعلَم أنَّ موقِدَ الفتنَة لا يسلَمُ مِن نارهَا ولهيبِهَا؛ واترُك البغيَ فإنَّ مرتعَه وخيم، واجتَنب الظُّلمَ فإنَّه ذنبٌ عظيم، وتُب إلى ربِّك، وعُد إلى رُشدِك، «**فإنَّ الرُّجوعَ إلى الحقِّ واجبٌ وشرفٌ**» ـ كما قلتَ أنتَ ـ، وهذا خيرٌ لكَ مِن أن تكونَ المعولَ الَّذي اختِير لتُهدَمَ به السَّلفيَّةُ في هذه البلاد، وحتَّى لا يُسجِّل عليكَ التَّاريخُ جنايةً مشؤومةً تقرؤُها الأجيالُ مِن بعدِك عنوانُها «**فتنةُ جُمعَة**».

هدَانا الله وإيَّاك إلى سَواء السَّبيل، وجنَّبنا الفتَن ما ظهر منها وما بطَن، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على نبيِّه محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

وكتبه: توفيق عمروني

يوم الأربعاء ٠٣ رجب ١٤٣٩ الموافق لـ ٢١ مارس ٢٠١٨